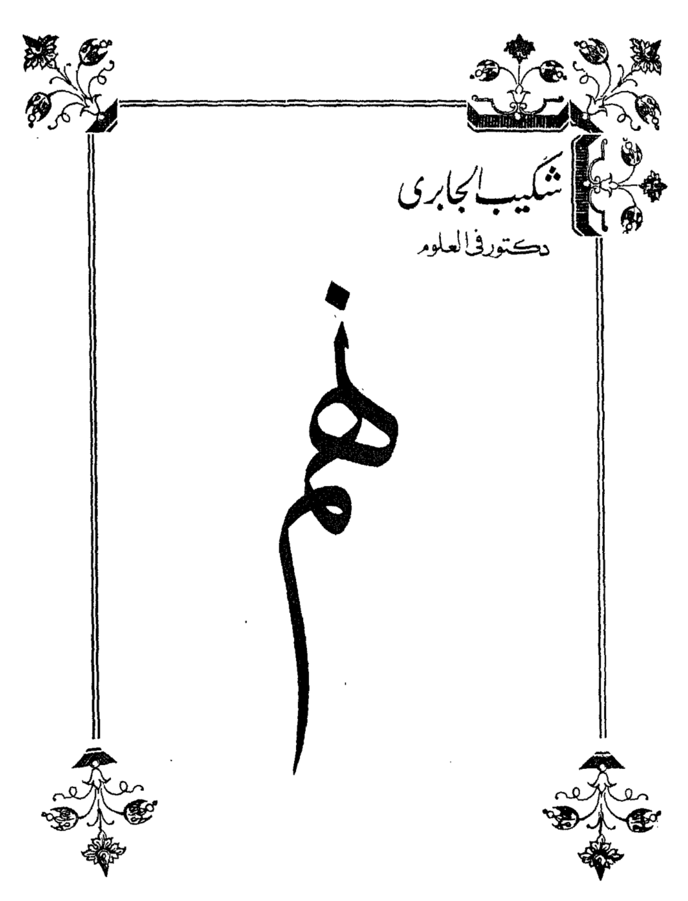
شكيب الجابري

دكتور في العلوم





شكيب الجابري

دكتور في العلوم

نهم

الى الناهلين من المهج الحمراء



من الراهبة ايفلين
الى ايفان كوزاروف

اتعرف ذلك النوع من الشحاذين الذين يتعلقون باهداب المارة، جأرين[1] الى الله والى الناس . وقد اطبقوا جفونهم على حدق ظلماء ، يقطر الدمع اللزج على جوانبها ، وانتنت اجسادهم ، واعتشت الدويبات النهمة شعورهم . فلا تمتد ايديهم الى حذل ردائك حتى تحس بدبيب قشعريرة فى ظهرك كأن حبلاً من قمل دار بعنقك وامتد حتى اخمص قدميك؟

وهل عن لك ان تدرس الشعور الذي يداخلك لدى احسانك الى هؤلاء المكرة الحاذقين ؟

لقد فتشت كثيراً فيما رأيت من بشاعات البشر ، فلم اجد وصفا اكثر انطباقاً عليك من مثال

(١) جأر : رفع صوته بالدعاء

اولئك الشحاذين بمكرهم وقبحهم . وقلّبت ذلك
الشموز الذي داخلني حين خبرتك فلم اجد له شبيهاً
الا شعوري امام تكلف هذه الزواحف البشرية القذرة.
لقد احسنت اليك وانا اشعر بانقباض في
نفسي هو انقباض المحسن امام متسول مشوّه ، فيه
من التقزّز قدر ما فيه من رحمة . وما علمت ان
عاطفتي ستُنخل شيئا فشيئا ، فلا يبقى منها مع
الزمن سوى الاشفاق ، وانك ستتمكن بدهائك
ومكرك ، وطول باعك في التمثيل ، الى قلب
شفقتي عليك ، الى حب اذوى مني الفؤاد ، وكاد
يودي بلبي ، لولا ان ابقى لي الله بقية
من روية ، اعانتني على التمسك قبل الوقوع
وفتحت عينيّ الآمنتين على حقيقتك ، فاذا الذئب
يسرو عنه ثوب الحمل ، واذا الحية الرقطاء
تتحرك بعد سكونها المصطنع ، وترفع رأسها

البغيض لتنفث منه سماً زعافاً ... كنتَ بالامس تتقلب تقلب اللسيع بين يديّ ، وتكاد تعفر هامتك على قدميّ ، طمعا بعطفي ، وابتغاء مرضاتي . وكنت تحبس الدمع عن المطَلان فاشفق على الرجولة الصلبة تجالد الدمع اباءً وكبرا . واذا انت اليوم ، تتبرم بودي ولا تعرف كيف تطّرحه . وتعطر بالبرودة عاطفتي خيفة اوارها . وقد كنتَ فيما مضى تلهب حشاشتك ودماغك لتذكي نارها . واذا انت تضحك ، حيث كنت تبكي . واذا استهتارك واعراضك ، يعادلان ما رأيته في البدء من لطفك وحماستك .

يا للغرابة ! .. اتكتب اليك ايفلين فلا تجيب ، وتسألك لقاءً ، فلا تجد من وقتك متسعا له . وامر بك فتقع في حيرة الوعل امام الكلاب الصيّد ، فاما ان يرتج عليك فابادرك بالتحية ثم

احث الخطى ابقاء على راحتك وسكونك. واما ان تجد مهربا فتولي الدبر ، كان الجذام او الطاعون في اثرك ؟ ! !

وا لوعتاه لبؤسك يا ايفان ! ... لقد اتتني كلمتك الاخيرة منذ شهر فرثيت لك ، اذ لمست منها انقلابات خطيرة في صحتك ومعاشك :
رأيت الخط مخربشا ، مشوشا ، فقابلته بمجموعة رسائلك السوالف ذوات الخط المتقن الأنيق فتبينت انك في بدء ضعف عصبي خطير اخاف عليك عاقبته .. وعجبت للورقة الخفيفة التجارية التي حملت الي كلمتك — فلقد عهدتك احرص الناس على انتقاء اجمل الورق واغلاه — فدخل في يقيني انك غدوت لا تملك من ثروتك ، التي طالما سهلت لك سبل اللهو ، ما يمكنك من

كتابة رسائلك على الورق الأنيق الذي كنت
تفتن بانتقائه ... ولكن حظي عظيم يا ايفان ،
فانا لم اكد ارثي لك ضعفك واملاقك ، حتى
جمعني القدر بامرأة — اسأل الله لها العون
على غدرك ، واسأله لك الصبر على قبحها — فوقعت
مصادفة على رسالة رقيقة منك اليها بتاريخ رسالتك
الي . وشاهدت من اتقان خطها ، واناقة ورقها
ما ازال من نفسي تخوفها عليك ..

تباً لك يا ايفان ، ما اقساك ، وما اخبثك ، وما
اسرع تلونك وتقلبك ! تبا لك على ما فعلت .
فلو حل لك العبث بنساء الارض قاطبة لما
حل لك العبث بي . . لقد كنت آمنة مطمئنة
قبل ان عرفتك . ولم اكن اشعر بحاجة
لصديق ، ولا بميل لرجل اخادنه . بل كنت

بغنية عن جميع ما يشتهوى النساء من مسرات الحياة ولذاتها . ولقد دفعتك عني بعزم صادق ثم توسلت اليك أن تحمل رسالتك الى قلب غير قاسي فابيت الا اللجاج .

وكأني الساعة ، وظلمة الحياة تحيق بي ، مخلوق قبيح هائل ، يدب في حمأة لا نهاية لها . فلا يرفع قدمه او يضعها حتي تنبعث من حوله ارواح الشك ، والكذب ، والنفاق ، والفجور . ولا من امل له بالنجاة من مفازته . فلو داس بقدمه بقعة من بقاع الجنة ، لاستحالت بؤرة شر وتهتك .

لقد اعتدتُ الكذب منذ عرفتك ، حتى لأعجب الآن من نفسي اذ اقول قولا صادقا . وأُخذت بتيار مبهم ، سريع الدوران ، اختلطت عليّ فيه الرذيلة بالفضيلة ، والخير بالشر ، والشك باليقين ، والملائكة بالشياطين ، فاصبحت لا

ادري امؤمنـة انـا ام ملحـدة ، اوموسـة انـا ام راهبة ؟

واشد ما استغربه ، هـو ان ظاهري لا يزال كما كان قبل ان تجرني المعصية في تيارها .

ولو شاء الله ان يجعل ظاهري مرآة لما انطوت عليـه نفسي ، لمسخني غولا راعبا يفزع الناس رئيانـه .

ليت الله رحمني ، فجعلني امرأة بشعة خمقاء قبـل ان القـاك ، يا ايفان ، اذن لكانت حياتي وقفا على عبـادته وتقـواه . ولا اعـلم ماذا جنت يداي من قبل ، حتى ابتلاني ربي بمن هـو اشد مكراً من ابالسته، فلم اثبت على تجربته العادلة الشديدة .

اما والآن ، وقد أشبعت نهمك من جسمي حتى اقصتك التخمة عنه ، فلتأخـذك الرحمة بنفسي

الضالة المتعذبة ، وقد اصبحت لا تصبر عن اخبارك وان آلمتها . فهي كمدمن المورفين ، يرى فيه هلاكه ، ويصبه في عروقه فرحا . او كالسجين العليل ، لا يجد فيما حوله ما يؤنسه ، فيأنس بخفق نعال سجّانه .

الراهبة الضالّة

ايف



من غريتل

الى ايفان كوزاروف

يا منيتي وهواي !

أتريد حقاً ان اهبك نفسي ، وان اضع بين يديك قلبي وأرادتي تفعل بهما ما شاءت نفسك المتعطشة الجموح ؟

أتريد هـذا كله ؟!

ان فكري يهمس : ان هذا الجنون .

وفؤادي يختلج ويصيح : ليفعل ما يشاء ، وليملأ وجوده هـذا العالم القفر الخاوي . وليقذف بروحي حيث تسمو روحه ، وليعبث بجسمي ما شاءت له الشهوة ، وما صاح في عروقه صوت الحنين .

امن عقلي استوحي الالهام ام من فؤادي ؟

خـذ بيدي ، رباه ، من حيث ترى سعـادتـه وسعادتي ، واجعل لي دليلاً من نفسي استرشد به في حيرتي ، وآمن به من عثرتي .

. . . . . .

لقد خفت كل صوت ، ياحبيبي ، عدا صوت الفؤاد، وتلاشت من خاطرى كل فكرة تقصيني عنك .. ولا اعلم ا صوت الألآه يجيبني على نجواي ، ام هو صدى صوتك العذب الحبيب ، يهيم في طيـات روحي كما يهيم صدى النـاي في الوادي العميق !

ايفان ، ان لصوتك في قلبي تأثير الراح في لب النشوان . ما سمعت منك كلاماً الا صدقته، ولا سؤلاً الا قضيته ، ولا رأيت منك عملاً الا حبذته واكبرته . فلا تسألني امراً انت راغب فيه ، بل اعمد الى وطرك واقضه ، فليس لي

معك من ارادة بعد ان أتخذتُ رغائبك مرشدي ودليلي .

ايفان . ان هبتي اليك اليوم هي اعز ما املك، وآخر ما كنت افكر ان امنحه رجلاً .ولست اريد بهذا امتنانا . بل هو قول اردت به ان ألمسك ما بلغ اليه تعلقي بك ، فتقدر حبي وتقابلني عليه بحب ، ان لم يعدله بالاضطرام والقوة، فليكن مثله في الصدق والاخلاص .

ان في حياة الفتاة ساعة تتجمع فيها زبدة لذات العمر ، وتزدحم اجمل الاحلام ، واطيب الآمال ، وانعم المشاعر، واروع انواع التضحية . وهي الانشودة الساحرة يشترك بترتيلها مجمع احساساتها ، والنشوة القاهرة ما بعدها للعذراء من نشوة، وبها يجتمع الألم واللذة ، والدمع

والابتسام ، وتتلاشى ارادتها ، فتمسي جسداً لا يحركه ارادة ولا تفكير . وتستعذب الخضوع ، فكأنها خلقت له :

تلك هي ساعة الاستسلام ، يا حبيبي .

تلك هي الساعة التي اهبك من عمري . ولست بخائفة مما انا مقدمة عليه ، ولا بنادمة على ما سأفقده ، اذ لم يبق في قلبي مكان لندامة ولخوف . ففؤادي في عيد عظيم ، لم تدع الانوار فيه ظلاماً الا بددته ، ولا حسرة الا محتها .

لا تهزأ بضعفي يا ايفان ان ابديت ضعفاً . فما انا الا فتاة صغيرة ، اختطت لنفسها خطة صالحة ، وسنت لحياتها قواعد وقوانين ، حتى اذا جاءها الهوى ، ذهب بما خطته في دماغها يد الحذر ، كما تذهب الريح بآثار القافلة في رمال الصحراء .

ماذا اودع الله فيك فلا يقربك انسان الا انجذبت روحه اليك ، ولا تسمعك اذن الا اطربها حديثك وانشاها ؟ . لمَ اجتمع على حبك الكبير والصغير ، والموسر والفقير ، والعالم والجاهل ؟ . . وذلك المتشرد الذي لقيناه ليلاً يساير النهر مطرقاً غضبان . وقد ارسل قبعته على فوده الايسر ، وطوّق عنقه بمنديل احمر ، ولمع في عينيه شر مستطير . ماذا اجتذبه اليك، ودفعه الى محادثتك ، حتى اذا مضت دقائق قليلة ، تلألأ العطف في عينيه ، وانساب الكلام المعسول على لسانه ، ثم استأذن وانصرف ، وهو يود لو صحبك ابداً !

انتظرني غداً امام الريخستاغ ، تحت تمثال بسمارك. فأني موافيتك مساءً بين التاسعة والتاسعة والربع.

ولو ان قدميّ تحملاني دون اضطراب الى
منزلك لواعدتك اياه رأساً لأكفيك مؤونة
السير في هواء الليل البارد .
احتفظُ بجميع قبلاتي حتى اوافيك ..

متاعك الى الابد
غريتل



من هيرناه
الى ايفان كوزاروف

يا طفلي المحبوب .

حيرتني وايم الله بفعالك !

اتلح على بأن اقدمك الى اهلي ، حتى اذا نزلت عند رغبتك ، ومهدت السبيل لدعوتك الينا ، اخلفت بوعدك ، وخليتني وابوي ننتظرك طوال سهرتنا دون جدوى . ثم كان يوم ويومان ولم اقرأ منك رسالة تبدي بها عذرك او كلمة تطمئنني عنك ؟ !

اتعتذر هذه المرة ايضاً بما اشتهر عنك من النسيان ؟ . . ما انا بغفور لك اليوم يا صغيري ، فأساءتك لم تنلني وحدى ، بل شملت شيخاً وقوراً ، وعجوزاً هرّارة ،

لا تغفر لشاب ذلة ، ولا تقيم لعذر وزنا .

ما حزني على ما نالني من خجل امام والدي باشد من حزني انك لم تذق ذلك الطعام ، طهيته بيدي ، فجاء شهيا لذيذ الطعم ، كأن روحاً طيبة اختلطت به. ولقد اعددت لك خصيصاً فطيرة زكية - بحجم ما اعرفه من شهيتك . . - وكنت اشعر ، وانا اهيئها ، بلذة تعادل لذة العروس تجهز ثوب زفافها .

ولكم خفت ، اذ طال تأخرك وقعدنا دونك الى المائدة ، ان يمتد بك النسيان طيلة الليلة فلا تحضر . حتى اذا تحقق ما كنت اخشاه ، شعرت بالخيبة تدب الى فؤادي وبالدموع تزدحم في مآقيّ ، ثم تنهمر بالرغم مني . وامست مخدعي فحاولت القراءة ، ثم النوم ، فلم استطع الى احدهما سبيلا .

تلك هي قصتك اليومية : تعد فلا تفي .
وتضرب للناس مواعيد في وقت واحد، حتى
اذا حانت سقط في يدك ، فلا تدري اياً
تقصد ، وايا تخلف . وربما نزل عليك ضيف
فنسيت انك صاحب الدار ، وانه هو المدعو ،
فتقبل منه ما يقدمه اليك من سجاير ،
وتعجب انه لا يحتفي بك احتفاء يتناسب مع
ما يحمله لك من عواطف . ثم يتبادر الى ذهنك
انك اطلت الزيارة ، فتضرب ركبتيك براحتيك
وتقف فجأة ، ثم تحيّ وتستأذن بالانصراف .

ليس بعيدا ان تكون كثرة تنقلك بين
الصواحب نتيجة من نتائج سهوك . فلربما
تعرفت الى امرأة ، حتى اذا بعدت عنها نسيتها ،
وانقلبت الى غيرها ، وانت موقن ان ليس
لك سوى الجديدة من صاحبة . . .

ليس بينك وبين الاطفال من اختلاف ، ياحبيبي ، الا كونك تسبب لحبيك همـوما واشجانا اكثر مما يسببه الصغار لأهليهم . وكم بكيتُ منذ عرفتك ! فهل خطر لك مرة واحدة ان تعرف السبب الذي ابكاني ؟ . . انت ترى الدموع فتمسحها برفق واناة كما يمسح الطفل دموع امه ، وقد علت وجهك غشاوة رقيقة من الحزن ، لا تلبث ان تنقشع حين تكفكف الباكيةُ دمعها . وان هى الا دقائق قليلة حتى يرجع اليك مرحك وابتهاجك ، كأن شيئاً لم يكن من كل ما رأيته من حزن صاحبتك .

واذا ما جئتك يوما وكنتَ مثقل القلب شاجنا ، لم تزل تسرد على من لواعجك وهمومك حتي تستبكيني في ساعة اضعافي ما بكيتَ

في حياتك. ولا نكاد نخرج للتسرية عن نفسنا حتى تدور بك نشوة السرور وبهجة العيش . فتضحك وتغني ، وتبني قصور الآمال ، وتضع اروع الالحان والتآليف ، وتسبح في بحار من الاحلام الراضية الزاهية ، بينما انا لا ازال اسبح فيما دفعته اليّ من همومك .

تلك هي الانانية . انانية الرجل الذى تعود ان تحبه المرأة ، وان تطمس على نفسها امامه . وهل اشبه منها بانانية الرضيع يمتص من ثدي امه زبدة دمها وغذائها ، فلا تزداد به الا تعلقا وحبا !

اعيد كتابة عنواني للمرة الرابعة ، خيفة ان تحتج بانك سهوت عنه : هيرتا سودنكر . شارع نورمبرغ ٣٧ ب

هيرتاه

من ابنة سبعة عشر

الى ايفان كوزاروف

سيدي الكاتب المبدع كوزاروف .

ان نفسي ياسيدي ، لا تزال فتية ، لمّا تنضج .
احس فيها باختلاجات جمة ، ومشاعر متجددة
مطّردة . ولقد تتكون فيها العواطف جماعات
ووحدانا . وتبرز منها فجاءة ، كما تبرز فقاقيع
الهواء على وجه المستنقعات . وبودى لو
امكنني التعبير عن كل ما اشعر به ، علّ
فؤادي يستريح مما يثقله ويضنيه . ولكن
لساني اكثر فتوة من قلبي ولبي . . يتكلمان ،
فيعجز عن حمل رسالتهما الى الخارج . واطلب
منه العون على بلوغ مارب من المآرب ، فاذا

هـو يتحفني باسخف ما يمكن امرءً ان يقول.

سيـدي . قرأت رواياتك الاخـيرة مرتـين . واتاني ان اكتب اليك بما يعتلج في دماغي الصغير لدى قراءتـك . وكنت كلما حاولت الكتـابة اقعدني الحيـاء . الى ان طالعت الليـلة فصل (الغيرة) في كتابك الاخير ، فـذهب الاعجـاب بحيـائي . وخيـل الي ان بيـانـي سيعينني هـذه المـرة على بلوغ مُنيتي . فعمدت الى قرطـاسي ، واذا انـا لا املك من جميـع ما اعددت ، الا كلمة ركيكة فقيرة هي :

كوزاروف انني معجبة بك !

لا اعلم مـاذا ازيـد على هذا ، لأني لا اعـلم

لأي غاية انا اكتب ..

هذيان وثرثرة ... (اليس في بعض زوايا كتبك شيء من هذا ؟ .. عفوا ياسيدي ، فما اريد الامزاحا .)

يعجبني في مؤلفاتك البساطة والوضوح . ويخيل الي انك لا تتناول موضوعا ، مهما تعقد وكان دقيقا ، الا جعلته قريباً منّا قرب قصص لقمان من اذهان الاطفال . وان تحدثتَ عن نفس فتية تتأهب لدخول الحياة الكبرى ، وجدتُ في جميع دقائق وصفك ما اقرأه في نفسي ، وما استشفّه في نفوس اترابي . وان انت صورت نفسا مضنية ، نهكها الدهر ولونتها الحوادث ، حسبت انى المسها بيدى ، واقلبها بين اصابعي ، كما اقلب قطعة من الدراهم ، او ربما اعرف صاحبه .

وان معرفتك نفس المرأة تلك المعرفة العميقة الدقيقة تلقى في روعي انك لا تقل معرفة بالرجال ـ وانت منهم ـ .

اما وصفك الحب والعواطف السامية بذلك الاسلوب الفتان ، فهو يقربها الى نفس المرء ، فيشعر انها اصبحت جزءً من روحه ، لا تتم الحياة بدونه . ولو كانت اموراً مستقبحة لاستمالت القلب ، واستهوت الروح . فكيف بها وهي اجمل ما زين جبين الحياة وحسنه !

واجمل ما في كتابك الاخير تلك الشخصية الرائعة التي خلقتها ـ لا ادري حقاً ، اانت خلقتها ، ام نقلتها صورة عن نفسك؟ ...ـ والتي جعلت منها بطل الرواية . فبطلك البائس ، بمزاياه ونقائصه ، بمحاسنه وعيوبه ، هو ابدع ما يمكن عين امرأة ان

تقع عليه بين البشر .. تراه يحسن ويسئ ويعدل ويظلم ؛ منقاداً تارة بعقله ، وطوراً بقلبه . وتتامس بين جوانبه روح الشباب فتجدها دوما وثابة ، وقد تكونت ذراتها من معدن نقي نبيل . الا ان بعض الغبار يعلوها احيانا فتكاد تشك بخلوصها ؛ وان هو الا جلي خفيف حتي يأخذك صفاؤها وبريقها .
واني لم اقرأ كتاباً الا لمست جهة التأليف في بطلة . الا بطلك . فانا لاازال افكر فيه، واراه حقيقياً ، انسانيا ، حتي ليخيل لي انه حي ، اكاد المسه واسمع نبرات صوته .

ايريد الكتاب ان يسموا بالانسانية الى المثل الاعلى ؟ . هذا هو الطريق الذي عليهم ان يتبعوا : ينتخبون من الاحياء امثلة حقيقية

طيبة ؛ فلا يشك المرء بصدقها ولا يقنط احد من التشبه بها ، وبلوغ المقام الذي بلغته . اما الابطال العلويون ، الخياليون ، فبينهم وبيننا حواجز لا يجرؤ احد على اجتيازها ، فلا ينفع مثلهم الناس شيئاً .

انه ليفعم قلبي سروراً ، ياسيدي ، لو وقفت جزءً ضئيلا من وقتك لتأليف رواية تدور جميع الحانها ضمن عالم الفتاة التي لم تتجاوز السادسه عشرة او السابعة عشرة . ففي نفوس اللواتي لم يتجاوزن هذه السن اختلاجات شتى، وفي أدمغتهن الصغيرة افكار ، وصور ، واحلام ، وخواطر، لو اتيح لكاتب ان يدرسها بالدقة التي تدرسون بها المرأة « الغرامية . . » لكان فتحاً جديداً في الأدب ، وموضوعاً

طريفاً لا ينضب . ولو ان لي من الدالة عليك ما يسمح لي بالافاضة في هـذا البحث لسردت عليك من حياتنـا ، نحن الصغيرات ، ما لم تسمع بمثله من قبل . .

لا ريب انك تتساءل ، يا سيدي ، كيف عرفت انك مؤلف رواية « بلوغ الافق » وغيرها مما كتبت ؛ وكل ما تكتب موقع باسم غير اسمك . فالامر

- - - - - - -

اسمع خطوات امي ، وستنكر على كتابتي لرجل لا اعرفه . .
سأضع الرسالة ناقصة بعد هنيهة لتتسلمها غداً . .

اطيب عواطفي ..

« معجبة »

عنواني : الآنسة ٣ X صندوق البريد

[دسلدورف]



من دوروثيا

الى ايفان كوزاروف

صديقي ،

اولا يمكن رجلا وامرأة ان يجتمعا بالروح ويكتفيا بصلة الصداقة والأخاء ؟ !

ماذا دهانا بالامس ، حتى فعلنا ما فعلنا ، فقوضنا بصفقة واحدة صرح صداقة نزيهة ، دامت شهورا طوالا ، وكانت لنا خير ملجأ نفزع اليه كلما عصفت باحدنا عاصفات الكدر ، او طوّقت نفسه اسباب الضجر !

اويكفر الانسان في ساعة واحدة بما آمن به زمنا طويلا، ويلوي العنق تحت نير لذة خلّب . ثم لا يجد في جميع ما اوتي من عقل

وخلق ، وروح ، يداً تنتزعه من عمهه ، او زاجراً يزجره عن غيه وضلاله ؟

كم ليلة ظلماء قضيناها معاً نساير الغُدران ونجوب المروج والغابات ، ونتناول شتى الاحاديث ، او نطرق ونسهو ، ولا ما يخنق صوت الجسد فينا ، سوى صداقة بريئة اشفقنا عليها ان تخدشها حركة باغية او فكرة ذميمة !

وكم من مرة جثوت بين يديك ، ابلل بالدمع ثوبك ، وافضي اليك بمكنونات صدري ، وانت تمسح برفق على خدي ، وتداعب بانامك ضفائر شعري صامتاً تستمع ، وقد خفق قلبك خفقان قلب الأخ يسمع اشجان اخته .

ماذا دهانا بالامس يا ايفان ! ماذا دهانا !

اناءت طبيعتنا بعبء الصداقة ، وقد كنا نجد

بها غايـة ما يرجوه المرء من نعيم الحيـاة !
ام هـل شعرنـا بنقص في سعـادتنـا فسعينـا
لنتداركـه ، فاذا نحن نفقـد جمع ما اردنا
اصلاحـه ؟

لا تعللني ، يا ايفان ، بالمستقبل . فلقـد اصبح
المستقبل غـير الماضي . ولست بمعتقدة ان
الصداقة التي عقرناهـا آثمين ، سترجع طاهـرة
عذراء ، كما كانت .
ان كنتُ بالامس المس بشرتك ، واقترب
بوجهي من وجهك حتى يكاد يلتصق به . وافضي
اليك من خبيء نفسي بعالم افض به لانسان
سواك ، فان استطيع ذلك اليـوم وبعـده .
فلقد قضي الأمر ، ووقـع الحـاجز . وذهب
من نفس كل منـا انـه بحضرة صنوه ورفيقه ،

وصرتُ ان نظرتك ، رأيت فيك الرُجلة ، قبل ان ارى منك وجها آخر . وصرتَ ان نظرتني ، رأيت فيّ المرأة ، قبل الصديقة ، والانثى ، بدل التي عاهدتها على الود والاخاء .

ان في عمر كل امرأة برهة تساوي ، في عرفها ، جماع حياتها . هي البرهة التي ترشّفت فيها اقصى سعادتها . وان هذه البرهة من عمري قد انقضت . . ولقد بدأت بابتداء تعرفي اليك وانتهت بالامس .
ليس لي اليوم ان اسأل القضاء اكثر مما قدر لي . وجل ما اطلب هو ان تسبغ عليك الايام نعمتها ، وان تحمل الي الالسن ، كلما استقصيت اخبارك ، انك في رغد من العيش . وانك لا تني

تشق طـريق النصر الى الهــدف الاسمى الذي
تتـوق اليـه .

دورا

اختك حتى البـارحة



من اليس
الى ايفان كوزاروف

ايفان .

حادث طريف سأقصه عليك وان كنت اعلم انه لن يؤثر فيك بخير ولا بشر :
ذهبت اليوم الى الطبيب مع اختي . وبعد ان فحصني فحصا طويلا ، ربت على خدى باسما ، واكد لي ان ليس بي من علة ذات بال . ثم خرج ليحدث اختي . فاسترقت كلامهما من خصاص الباب :

- انها مسلولة .
- هل هي في درجة خطرة ؟
- لا تجزعى ياسيدتي . . . . . انها

أن تعيش أكثر من شهور معدودة .

انها لن تعيش اكثر
من شهور معدودة

كان على ان انتظر حتى النهاية فاكتب اليك . ولكني خفت ان يكون الطبيب قد اخطأ في التقدير فاموت قبل ان اكتب .
سأاتني في رسالة صاحبة هوجاء ، باحتقار و كبر، لمَ خنتك ، و كيف كان ذلك ؟ فاسمع ، ان اردت :

اعترافات مسلولة تحتضر

في العاشر من شهر تموز الماضي ، اى منذ سنة واربعة ايام ، قعدت الي طاولة السيد ه.م. في مرقص « كرول ».و كنت بصحبته . وبعد ان قدمني صاحبك اليك رغبت بمراقصتي ،

فاتـاني ان اعتذر . ولكن نظرة من صديقي جعلتني اجيبك الى طلبك ـ فكان ه.م. اول من فتح لي باب المغـامرة دون ان يعـلم ـ.

لست ادري اي دافـع قـام في نفسي اذ عرضت عليّ الرقص حـتى عنّ لي ان ارفض . الا أني شعرت في قرارة نفسي ـ وللمرأة احساس باطن يقودهـا عـادة قبل ان يقودهـا تفكيرهـا ـ اني ان راقصتك ملت اليك ، وان ملت اليك سهل عليك الوصول بي الى الغايـة التي تريد؟ ..

راقصتك ولم اخبرك أني متعـاهدة سراً مـع ه . م . على الزواج ـ ولو فعلت لمـا وصلنـا الى الحـال الذي نحـن فيه . فمـا خـبرته من خلقـك ، عـلأني ايمـانا بأنـك لو وقفت على الحقيقة اذ ذاك لمـا اقـدمت على ما اقـدمت عليه فيما بعد ـ.

ولقـد ملأت المكان ، بعد رقصتنـا ، بخفـة
روحك وحلو دعـابتك . وما افترّ ثغرك عن
ابتسـامة ، وما انطلقت من بين شفتيك كلمـة ،
الا انسـاب الى نفسي ضرب جديد من الميـل
والاعجاب . ثم افترقنا ؛ وانـا لا اعـلم اني
احمل لقـاحاً قوياً في طيات نفسى .
منذ ذلك اليوم لم يطب لي عيش مع هو. فاذا
تكلم ، بدا لي كلامه تافهـا باهتا . واذا ابتسم، ظهر
لي ابتسامـه مصطنعا باردا . واذا مس يدى ،
اصابني ما يشبه التقزّز . ولم ادر اني كنت
اربيّ خيالك في نفسي ، واقارن بك صديقي
كلما رأيتـه . . الى ان صادفتك يوماً خارجاً
من المسرح ، فحييتني بالطف ممـا يحيّ بـه
الرجال السيدات عـادة . ثم انملست بلباقـة،
بعـد ان حدجتني بنظرة طويـلة نافـذة .

وذهبتُ في طريقي ، وقد برزت ذكراك في
فؤادي ، بعد ان كانت خفيَّة .
وجرى ما جرى بعد ذلك من تواعدنا وتلاقينا
وتريضنا .. الى ان كنت لك روحا
وجسما ..
ويحي ! ما كان اشدني على هـ . م . واقساني
على اهلي !
لقد ضربت بآمالهم ، ونصائحهم ، ودموعهم
ووعدهم ووعيدهم عرض الحائط . وانغمست
في لجَّة الهوى واستسلمت لتياره . فلا تجرعني
يدك كاسا من كؤوسه الا سغتها واستعذبتها
ولقد صحوت ساعةً من نشوتي ، فاذا
انت تقدم لغيري الرحيق الذي حسبته ملكي .
فتحطمت كؤوس الماضي في فؤادي وتقزت
مني الروح . وتلمست نفسي ، فاذا انا وحيدة

يائسة ، فلا انا بمرتدة الى اهلي ولا راجية منك قفولا .

ولقد قبلت الواقع صامتة صاغرة . وجعلت صدري قبر آلامي ، والحوض الذي تتجمع فيه عبراتي المرة الاليمة . وكنت كلما هممت ان اطلق الحزن من معقله ، وافرغ مافي الفوآد من سموم اللوعة والغيرة ، وارسل في الفضاء صيحتي البائسة الندمانة ، اقعدني الرجاء الباقي ، وكم في الحياء والانفة ، واعادني الى صوابي صوت قاس هازيء ، يردد ، كلما عصفت في صدري روح النقمة :

انك تستحقين !

تستحقين

الى ان خرجت ليلة اضرب في الشوارع والمتنزهات آملة ان القاك فابثك ما قام

في نفسي ، واهدهد قربك تلك الدلة الخفية
التي هدت قـواي ، علـّها تسكن ساعـة
فأستريح . وكنت لا ارى خيالاً يشبـه
خيـالك الا تبعته ، راجية ان يكون انت .
والسير والخذلان لا يزيداني الا المـا .
الى ان لقيتك .

مـا افظع تلك السـاعة وما اقساها ! ان ذكراها
ستصحبني الى لحدي .

كنت ، يا ايفـان ، قاعـداً في مرقص (الكرول)
في الجناح الزجاجي الذي تعـارفنـا فيه . وكانت
ذراعك تطوّق غـادة هيفـاء - تبينتهـا طويلا
فـلم اجـدهـا اجمـل مني - وكنت تضحك
الضحكة التي اعجبتني منك اول مرة . وخيل

الي انك تهمس في اذنها بالكلمات التي طالما همست بها في اذني . ولقد مرّ بي هـ . م . في تلك الهنيهة فما رأى ذهاب لوني وتشعث شعري ، وانفراج عينيّ ، حتى تقدم مني ، وقد احتلت الرأفة محل النقمة في نفسه . واقتادني الى الحديقة ، جسداً بلا روح .

بعد ساعة كنت افكر ، وانا اشعر بالدم الاسود يقطر من قرحات رئتيّ المتناثرتين :
ـ الم يخلق العفاف الا للمرأة ؟ . يوزع الرجل قلبه بين جميع اللواتي يصادفهن في حياته . ويبلغ الحمق بها ان تأخذ على نفسها نظرة ترنو بها الى رجل غير الذي اوقفت نفسها عليه واذا اتت سوءاً ماتت كمدا وغما ! . هل كتبت اللذة للرجل وحده ، يتصرف بها

كيف شاء ؛ بينا لذة المرأة تخنقها التقاليد ، وتحصرها حدود اللياقة ، والآداب ، والفضيلة والشرف !

ايلهو ، وابكي ؟
ايسعد ، واشقى ؟
ايرقص ، بينما انا ادب الى قبري ! !

هكذا قدمت شفتيّ الى رجل غير ايفان . الى غيرك يا ايفان .
اجل . اجل . قبلته . وكنت امسح بيدي على شعره وخديه ، وارمقه ، بنظرات والهة محمومة ولقد قلت له ، بينما كان يضغطني على صدره :
احبك . احبك .
اعف عني عما صنعت . فلقد كنت عاقا

مجنونة . ولقد خُدعت بامري . وسانيلك من اللذة ما لم تكن تحلم بمثله .

انت الرجل الذي احب . انت الرجل الذي احب .

قلت له هذا وكثيراً مما لا اذكره . ولقد هممت بان انيله من نفسي ما قد نذرته لك وحدك حياتي . وكدت اكبو لولا ان اشمئزازي كان اعظم من جنوني . فتوليت عنه ونظرت الى ما تشعث من ثيابي، فاستطير لبي وشهقت شهقة كادت تودى بما تبقى من رمقي.

كنت اريد الانتقام منك، فاذا انا انتقم من نفسي .

ولقد كبر على صديقك امتناعى عليه فطار صوابه ،وجن جنونه، ورشقني بكلام قاذع اوشك ان يقتلني لولا ان مصيبتي بنفسي

كانت تلهيني عنه بعض الشيء .. ولا اذكر مما جرى بعد ذلك الا ان لطمة شديدة اصابتني على صدغي كانت خاتمة لعذابي تلك الليلة ، اذ فقدت بعدها الرشد .

هذه هي قصة خيانتي ... اما خيانتك التي توشك ان تودي بحياتي ، فلا آخذك الله عليها بسوء ، يا ايفان . فانا ، وان كنتَ قد حطمت صباي ، ودستَ عزة نفسي ، لا ازال احبك اكثر مما اخاف الموت .

اليس



من هيلدا اطارد

الى ايفان كوزاروف

. . .

عفواً يا سيد ان انا (اسأت معك الادب) كما تقول في رسالتك . فلولا انك جرأتني على ذلك باعمالك ، لما خط قلمي ما يزعج احدا . لقد ظهر لي من الحاحك في متابعتي ، ومن رسالتك الاخيرة ، انك واثق بنفسك ثقة لا تعرف للاخفاق وجودا ، ولا للصد معنى . وربما كان لك في ذلك عذرك . . فمن تعود التساهل من مثل اللواتي عرفتهن من النساء ، لا بد ان يكون له في المرأة رأيك . . . واخاف ان تكون قد وقعت اليوم على ما سيثلم كبرياءك ، وينتزع ثقتك بنفسك

من نفسك .

انا ، ياسيد ، لا اجدك جميلا — ولو خالفتُ بذلك رأي كثيرات من اللاتي عودنك الافتتان بجمالك — .

ولا اجدك جذابا — فما اعامة من تصنعك وتكلفك ، يسبل عليّ درعا سحرية تقيني خطر الانجذاب اليك — .

ولا اخالك ذكيا — فالاذكياء ، في نظري ، هم الذين يتكلمون قليلا وينصتون كثيرا .. وأنت على الضد من ذلك تماما — .

ولا اجدك انيقاً — فانا افهم تأنق الرجل ان تكون ثيابه اظهر للرجولة منها الى التخنث . وان يكون شارباه اما حليقين تماما او كاملين طبيعيين . اما الشارب المزين المقرطم فهو ، برأيي ، اظهر لطبيعة الخُنثى — .

ولا اراني سأميل اليك ، ولو عمدت الى جميع
ما في جعبتك من اساليب الغواية . فانا اميل
الى الرجل القوي الحيي — وانت قوي ولكن..
بلا حياء ، (برهاني على ذلك : رسالتك
الاخيرة) — .

واميل الى خفة الروح . وجمال الطبع .
وسلاسة الحديث . والجرأة ، بثياب الادب .
والصراحة ، مكسوة بالدعابة . والانفة ،
مقرونة الى اللطف . والذكاء ، تستره البساطة .

ولو اقنعتني انك مالك هذه الخصال جميعا ،
لكفاني ان اذكر ما سمعته عن غرورك
ليتقلص ظل فضائلك . . اذ الغرور ، بنظري
عثة الفضائل ؛ يقرضها كما يقرض الصدأ
الحديد اللامع .

اما وقد اسمعتك مالا تحب كثيرا ، فانا

دافعة الصراحة معك حداً ابعد :

ان كان ما قدمتُ غير كاف لنزع رغبتك بالوصول الي، فاعلم ان في فوآدى صورة عزيزة عليه ، احتلته منذ امد بعيد . وليست طبيعتي طبيعة امرأة مزواج فافتح قلبي لرجلين في وقت واحد .. وان كان قد اشتهر عني ضد ذلك فلا بأس ، اذ لست اعبأ كثيرا بما يقول الناس .. والسلام

هـ . هنزنجر

حاشية : سمعت عنك ، فيما سمعت ، انك تراعي احيانا قواعد اللياقة والشهامة . واني ، معتمدة على ذلك ، اسألك الا تسترسل بالتعرض لي ، ان كان شفاها او كتابة . ولك الشكر الجزيل

حفلة مقنّعة

انبثّ الظلام فى الادغال ، ووصل ما بين أوراقها واغصانها وجزوعها ؛ فظهرت عن بعد كضبابة سوداء وطيئة . وملأ الاعقّة والاودية الصغيرة بذراته المتكاثفة الحالكة ، كما علأ الحبر الاسود اناءاً من بلّور . فتسوّى شكل الارض حتى ليحسبها الناظر منبسطة ، لا اودية فيها ولا هضاب ، لولا بضع قمم فزعت اليها فلول النور ، فظهرت رمادية اللون ، باهتة الصورة ؛ تكاد تكون رسما خياليا على صفحة المساء .

ولم تزل الظلمة تعلو رويداً رويداً ، وكلما ازدادت ارتفاعا ، ازداد وجه البسيطة خلوكا ؛ حتى تسربل الكون بسربالها . فلا تقع العين الا على سواد قاتم ، يثقبه بين الفينة والفينة بريق نجمة ، لا تكاد تطل من بين

السحب السيارة لتلقي بنظرة على عوالم الظلام
حتى تأخذها الخشية فتعود الى التحجب .

ولقد توثبت مياه غدير صغير على غير هدى .
وراحت ذراتها المرحة تتدحرج من صخرة الى صخرة،
ومن ثغرة الى اخرى ، مفتشة عن طريقها
الى بحيرة (فان زيه) الهادئة وهي تلهو في توثبها
السريع بترديد حداء رائع يملأ السكون شعرا .

ولقد شارك الغدير الحداء ، بلحن اكثر
نعومة واشد في النفس وقعا ، لفيف من القصب
المتراص الباثق . ازدحمت عيدانه على شواطئ
البحيرة ، وتمايلت بجزوعها الفارغة المعقدة واوراقها
المستطيلة المتهدله ، مع نسمات الهواء وهبات
الريح . فكانت كمجموعة مزامير حية تنفخ
فيها إلهة من آلهة الماء لحن الحياة
الازلية المتشابهة .

على رابية منعزلة من الربى المطلة على بحيرة (فانزيه) قام قصر الهتزنجر ، ببنيانه المربع الضخم . يذكر، لأول وهلة ، بقصور القرون الوسطى الاقطاعية . غير ان صف العمد المرمرية تكوّن منها جانب القصر الرئيسي ، والسلالم الرخامية العريضة ، المزدانة الجوانب بقطع رافائيل ، وميشيل انجلو ، وليوناردو ، ورمبرانت ، وفندايك ، وغيرهم . وتلك الابهاء الفسيحة ، ملأتها رياش فخمة من ازياء شتى ، نزعت عن القصر طابعه الاقطاعي ، وجعلت منه متحفاً يضم زبدة الفنون ، قديمها وحديثها . ولقد نُسق كل ذلك بذوق يكاد يكون كاملا ، لولا تلك التماثيل المضحكة الجوفاء ، زينت المدخل ، واريد بها محاكاة التماثيل اليونانية العبقرية ؛ فجاءت ندبة محزنة

في جبين القصر .

لم يكد الليل يذر على الكون غباره حتى شعشع القصر بأنواره القوية الساطعة . وكان خط من الانوار المتحركة ، انوار الرولس ـ رايس، والبويك، والستودبكر، والدوش، يصل مابين القصر وبرلين . وبين هنيهة واخرى ينبعث صوت بوق مرح في الارجاء الساكنة ، منبئاً بوجود حفلة انيقة ، تلك الليلة ، في قصر المتزنجر :

حفلة مقنّعة ! وما ابدع قصير المتزنجر مسرحا لحفلة مرحة انيقة كهذه !

زخرت اروقة القصر بالمدعويين . وتبختر المقنّعون في لجة من انوار الكهرباء الساطعة علابسهم الملونة الغريبة ، واقنعتهم تخفي مجمع وجوههم او بعضها . فكان بينهم المتزي بزي (ارلكان) المرح الماجن ، او (بيرّو) الشهير بحمقه وتبلّده . ومنهم من ارتدى البسة امراء الهند فبهر العيون بالوان ثيابه المزركشة الزاهية ، وبريق الجواهر المزيفة زيّنت مشواذه[1] . ومنهم من ارسل ، من تحت تاج من ريش ، ضفائره الوحشية ، وخضب وجهه بالحمرة ، ولف حول كتفه حبلا طويلاً ، وزيّن جانبي سرواله بريش الدجاج والطيور الجارحة فجاء هنديا احمر كهنود المسيسبي . وهنا رهط من الشباب ارتدوا سراويل قصيرة من

(١) العمامة التي يلبسها الهنود او غيرهم .

جلد ، تشدها الى الجسم حمّالات منقوشة ، وقد مالت على رؤوسهم قبعات لطيفة مريشة، وهم يدورون بفتيات ارتدين فساطين ملوّنة فضفاضة الاسفل ، تشدها الى الصدور الفتية البارزة صُدر صغيرة مطرّزة بالوان مختلفة . وقد رقص الجميع رقصات خفيفة سريعة ، على الحان الاناشيد الحادة الرنانة . فكان منظرهم يذهب بالناظر الى مرتفعات التيرول ووديانه ، حيث يرقص الفلاحون ويهزجون كما يفعل هؤلاء الشباب الاخلاء [1] المرحون . وآخرون كانوا ابعد في إطّلاب التفنّن فخلقوا لانفسهم ازياء غريبة ذهبوا فيها ما شاء لهم خيالهم الواسع الجريء . ومنهم من قلد بعض مشاهير الرجال . فهذا غاندي

(١) جمع خلو وهو العديم هموم القلب

ينساب بين الأعمدة والناس بنظارتيه الكبيرتين وجسمه الاسمر العارى الا من قباء مهلهل ملفوف . وهذا نابليون بقبعته المقرّنة ، وخصلته الزاهية ، وبطنه المندفع المتكبر . وذاك بسمارك ، بخوذته اللامعة ، وثيابه الحربية يزرع الابهاء بخطواته الجرمانية الواسعة . راشقاً الناس بنظراته الحولاء النافذة ومقلبا كفيه في جيوبه كانه يفتش عن خريطة حربية «يجرمن» على نورها العالم .

وكأن السيدات اردن ان يرمزن الى العصر الحاضر ويسترشدن في ازيائهن باحدث مذهب فيه ، فبرزن ، الا قليلا منهن ، باقل ما يمكن امرأة ان ترتديه من ثياب . حتى ليخيل للساذج ان فرقة من راقصات (الوينتركارتن) او (الاسكالا) قد ضلت سبيلها

ووقعت دون قصد في هـــذا الجمع المرح الملوّن .

* * *

طـارت انظار المدعوين جهة السلم العريضة اذ رأوا صـاحبة الدعوة تعود اليهـم وقـد غـيرت ثوبهـا الذي استقبلتهـم به . واخفت عينيهـا بقنـاع اسود صغـير تنصبّ من ثقبـه نظـرات الطمأنينة والمرح . وكان شعرهـا الاشقر يشبه بلونه وتشعثـه زغب الذرة الصفـراء يصبنـع منه الصغار لمم عرائسهم . وقـد التصق بجسمها فسطـان ابيض ذو فتحـات على شكل القلب ، من تحتـه فسطان يحـاكيه ؛ الا ان القلوب في هذا كانت مملوءة ، وما يفصل بينها كان فارغـا مفتوحا . فاذا سكن جسم الفتـاة

قابلت القلوب المملوءة في الفسطان التحتاني القلوب الفارغة في الاول . فبدا الثوبان كثوب واحد . واذا تحرك الجسم قليلاً زحل كل قلب عن موضعه ، وانفرجت القلوب المملوءة والفارغة بعضها عن بعض ، وظهرت من بين خصاصات الثوب اجزاء صغيرة من جسم الفتاة العاجي. وان هي الا حركة اخرى حتى تختبئ هذه الاجزاء وتظهر غيرها . فتحتار العين الفضولية كيف تنظر حتى تلم بجميع اقسام الجسد الفتان او ببعضها دون ان تطاردها تلك القلوب الحركة المداعبة .

وكأن صاحبة الدعوة ارادت ان تجمع فى زيها ذاك روعة الملاك وفتنة ابليس . فكان لون فسطانها ،ذلك البياض الناصع الذي تصطفيه مخيلات الناس لباساً للملائكة الطاهرين . وكانت

تلك القلوب المتحركة كخلايا قبع في كل منها شيطان صغير ؛ كلما انفرجت خصاصة اطل منها شيطان يضحك ملأ شدقيه بخبث ويحرك لسانه الساخر في عيون الوالهين .

لم تكد ذات القناع الاسود تتوسط الجمع حتى عرفها كل من في القاعة وجمجمت الشفاه جمجمة اعجاب طويلة ، كما يفعل المؤمنون حين يكبرون :

هيلدا كارد ! هيلدا كارد !

. .

لم يبق في القاعة قلب خفق باسم هيلدا كارد يوماً — وما خفق من تلك القلوب كثير — الا تجدد اعجابه وخفقانه . وكم شاب ذهل عن رفيقته فارسل يده من يدها وصوب

ناظريه بشغف نحو الخاطرة الهوينا ، وهو يشعر انها ، في كل خطوة تخطوها ، تنزل درجة قرارة قلبه .

الشاعر يرى فيها وحيه والهامه . ويود لو انه ما قال شعراً الا في تعداد محاسنها .
والنبيل يود لو اعتاض صباها ورواءها من القابه وماله وجاهه .
والشيخ يتحسر على الشباب الذاوي وتتفتح كوى خواسه لاشعة الجمال بعد ان سُدّت دونها زمنا طويلا .
والشباب يرمق بعضهم بعضا . كل يفتش بحسرة عن الذي اختصته هيلدا كارد من بينهم بعطفها .. اما النساء ، فان الغيرة عفّت عن قلوبهن فليس فيهنّ من تعار من

هيلدا كارد على ما لها من مقام في قلوب الرجال . فلقد شعرن بان البون بينهن وبينها شاسع . ومتى عظم الفرق بين انسان وانسان لم يدر في خلد احدهما ان يغار من الآخر ؛ لا فرق في ذلك بين الرجال وبين النساء .

ما من مرة عزفت الموسيقى لحنا من الحان الرقص الا قامت بمعركة حامية الوطيس حول هيلدا كارد . فهذا يود ان يراقصها ، وذاك يريد ان يمنعه . وواحد يذكرها بانها واعدته الرقصة ، وآخر يغتنم فرصة الجدل فيسبق الجميع الى خاصرتها . وهي واقفة وسط التيار كطير البحر ؛ تصطخب الامواج من حوله فلا يزيده اصطخابها الا مرحا . وكانت لا تعرف ايا تراقص وايا ترفض .

تخاف ان ترفض القبيح فتجرح عواطفه ، وتخاف ان تنتخب المليح فيلقى في روعه انها إعجبت بجماله ووقعت في هيامه .

وكأن الرقص خلق خصيصاً لهما او كأنها لم تخلق الا لترقص . فما من مرة قامت تدور دوران (الفالس) الناعم السريع الا كانت كريشة بيضاء يدور بها تيار عاصف من الريح . وثغرها الشهي يرشق نسمات اكثر دعابة من اشعة الشمس ترسلها عليك مرآة خفية . وترى ذوائبها [1] الشقراء تميل ذات اليمين وذات الشمال باتزان ، كأن بينها وبين الحان الموسيقي تياراً كهربائياً ينقل اختلاجاتها الحلوة اليها .

واذا تمايل جسمها على نغمات رقص بطيء

(١) جمع ذؤابة وهي شعر مقدم الرأس

رأيت الدلال والأنوثة العذبة يخطران في خطواتها . وما من ضربة تضربها الموسيقى او همسة تهمس بها الا بان على محيا الحسناء منها اثر. فانت تقرأ في محياها الطرب وهو ساكن كأنه لم يتغير ؛ وتلمس الغامة في عينيها المحجوبتين حتى اذا انقلبت النغمة نغمة اخرى لمست في سيمائها معنى آخر يكاد يتكلم بما يتحرك في نفسها الرقيقة الحساسة . فكأنما ذلك المحيا وعاء من بلور تجمعت فيه نفس هيلدا كارد فلا تختلج اختلاجة الا ظهرت كما هي للعيان .

* * *

انسابت هيلدكارد الى الشرفة لتتمتع بالسكينة ساعة بعدان اعياها الرقص . وما كادت تعتمد

بمرفقيها على حاجز الشرفة حتى لمحت في طرف
الشرفة الآخر شخصا واقفا وقفتها . ولقد
همت ان تدع الرجل وشأنه . ولكن
ما لاحظته من اسراعه بالتقنع رغم الظلام
حرك فضولها فراحت تفتش عن كلمة تبدأه
بها الحديث . ولكن الرجل المقنّع
كفاها مؤونة التفكير . فما كادت تنظر اليه
حتى سمعته يقول بصوت خافت :
— استميحك عذرا إن انا ازعجتك في عزلتك ،
ياسيدتي .
وتحرك الرجل حراك من يهم بمغادرة المكان .
فقالت متلطفة :
— بل الاعتذار عليّ ، ياسيدي ، فأنت
السابق بدخول الشرفة . وظني انك تعب مثلي
تفتش عن الراحة .

فقال الرجل :

— بل انا افتش عن شيء اضعته ، وكان بودي الا ابرح مكاني قبل ان اراه .

— وماذا اضعت ايها السيد ؟

— نجماً باهت اللون ، براقا . يقع في الجهة الشمالية من السماء . كان ظاهراً حين دخلت القصر ، فاذا ما طلبته الساعة لاستطلعه امراً وجدته قد خفق[1] بين الغيوم العنيدة .

— واي امر تستطلع نجمك ؟

— سراً لا املك ان اطلعك عليه .

— اخيفة ان ابوح به ؟ . .

— بلى .

— قل ، ولك مني الوعد بالكتمان .

— لقد سألت النجم قبل ان يأفل عن تاريخ

(١) خفق النجم : غاب

هذا القصر . فنبئت ان القاعة الكبرى التي
يرقص فيها الراقصون الآن كانت قديما
مخزنا للقمح . من تحته سراديب عميقة مظلمة ،
تنبعث منها رائحة العفن . وتطير منها
كالخفافيش ارواح رطبة خبيثة ، حاملة انات
انسانية عميقة كأنات الريح بين سرو المقابر .
فاذا ما نزلت الى تلك السراديب بسلالم حجرية
ضيقة ، ولمست قضبان الحجرات الصغيرة الصدئة
شعرت بسائل لزج يرطب يديك . . . اتعلمين
ما هو ذلك السائل اللزج ؟ . .
فاجابت الفتاة ، وقد بدأت تشعر بشيء من
الخوف :
— كلا .
فاردف المقنع :
— دم اسود . . تفجرت عنه رؤوس اشباح

من الرجال . يهيمون في تلك السراديب ، ويدبون على ركبهم وراحاتهم ، او يزحفون على الارض الندية زحفا ؛ وقد ذابت شحومهم ، وتقدّدت لحومهم ، والتصقت جلودهم باعظمهم الواهنة. يتطلّبون الموت فلا يجدونه ، الا بعد لأي ؛ رغم ما كانوا يخلفونه على القضبان النخرة ، والجدران الوارسة [1] ، من جلود رؤوسهم ودمائهم القليلة .

فسألت هيلدا كارد ، وجلةً ، وقد شعرت برعشة باردة تجتاز فقرات سلسلتها ، وصرفها حديث الرجل عن كل ماعداه :

— وماذا كان صاحب القصر يصنع بجثث ضحاياه ؟

— كان يتركها اياماً الى ان تختلط اجزاؤها

(١) التي ركبها الطحلب من شدة الرطوبة فاخضرّت

وتنحلّ اعضاؤهـا واوعيتها ، ويفوح من سمومها ما يودي بلب الباقين . ثم يأمر رجاله بالقائها في الجب الذي بني عليه جناح القصر الغربي . فقالت هيلداكارد وهي تردد لعابها :

ـــ نحن اذن نرقص على جثث الموتى .

فقال : وننشق ارواحهم .

فقالت باسمة بسمة شاكة :

ـــ او جادّ انت فيما تقول ؟

فاجاب : كل الجد .

ثم صمت هنيهة وقال : ان الذين يرقصون على قبـور الشهداء لاشـد قسوة من الذين قتـلوهم .

فدنت هيلداكارد من الرجل خطوة وتفرست فيه علها تتبين ملامحه فـلم تفـلح . فدنت خطوة اخرى وقالت :

الا تحسب اهل هذا الجيل اقل غلظـة وقسوة من

السابقين ؟

فقال الرجل :

— لعمري ان الانسان لمجبول على القسوة أنّى كان وكيفما كان . ومهما تقلبت عليه وجوه المدنيات فطبيعته واحدة لاتتبدل . وليس من فرق بين راقصى الليلة وطغاة الامس الا فرق اللباس ومظاهر هذا الجيل المكتسبة . . افلا ترين الي هؤلاء الناس ، كيف ينال بعضهم من بعض . واذا اصابت احدهم مصيبة ولّوا وجوههم عنه او انقلبوا عليه ، ينوشون عرضه وما ابقت الايام بين يديه من مال ومتاع !
الا ان الوحش المستتر في اهاب كل انسان لباق على طبيعته ابدا .

فقالت هيلداكارد ممازحة :

— اولست من هؤلاء الناس ايها السيد ؟ . .

— بل انا اشد منهم بغيا . هم يعملون راضين عن اعمالهم ، وانا افعل فعالهم غير راض عنها .. الا ترين ان اولئك الذين ينتقدون الناس وينسجون على منوالهم هم الاظلمون ؟

— ماذا اثار فكرك الليلة فقلب سرورك كدرا حتى تنكرت للدنيا واسأت بالناس الظنون ؟

فقال: كأس من الخمر .

فقالت : الك بكأس اخرى تذهب عنك ما نالت به الاولى من نفسك . وتعيد اليك الرضى فتقرأ لي في نجمك مستقبلاً سعيدا ؟

فقال : فكرة حسنة ولكني آليت على نفسي الا ابرح مكاني قبل ان استطلع نجمي طالع فتاة شغف بها قلبي وفتن بها لبي .

فقالت : يالها من سعيدة ! اتراني اعرفها ؟

— ليس في برلين من لا يعرفها يا آنستي .

ولو دخلت القاعة الآن لما رأيت الا ّها .

ايتها الآنسة !

ارأيت الى النرجسة البيضاء ،
تحف بها الاعشاب المتواضعة ؟

والغدير الجموح ، يقهقه في توائبه
على الصخور المخضرّة الملساء ؟

والحمل الوديع ، جاثما امام راعيه
ينصت لنغمات نايه ؟

والدخان الملتهب ، يدور بالسنة النار
في الليلة الداجية الهوجاء ؟

والقمة البيضاء ، تناطح الجوزاء
بهامتها الثلجية الشامخة ؟

انها تشبه النرجسة ، بدلالها وعلوها .
والغدير بمرحها وفتوتها .
والحمل ، بوداعتها وانسها .
وروحها المتدفقة فى كل نظرة من نظراتها ،
بها تأجج اللهيب وسمو الدخان ؛ والامل والقوة
تبعثهما النار في نفس المتشرد باغتته العاصفة .
وهي القمة الشامخة البيضاء ، يأخذ
النفس نصوع لونها ، ويدور بالرأس ارتفاعها ،
ولكنها ترد الطرف الولهان عنها بعظمة
وكبر . . وما من مرة تنفس الامل في فوآدي
ونظرت اليها ، الا الفيتها بعيدة عني قدر
قربها من قلبي .
فقالت هيلدا كارد بلهجة مواسية حلوة : وارحمتاه
لك من حبك !
ولقد تحركت الغيرة في نفس الفتاة لذي

سماعها وصف محاسن امرأة غيرها بذلك الاطناب . ودفع لسانها حب الاستطلاع فقالت :

— او تعرفها منذ زمن طويل ؟

— لا يمكنني ان اقول اني اعرفها . وجل مافي الامر اني رأيتها منذ شهور فعلقتها . ثم علمت انها كمبة رواد الجمال وان بها كبرا . فعافتها نفسي ، وتخلى عنها الفؤاد . الى ان اقتادني الليلة الى هذه الحفلة صديقٌ فبصرت بها . ولا ادري ماذا دهاني بعد ذلك .

فقالت : اراك انوفا لا ترضى الكبرياء ولو اتشحت بها ربات الجمال .

فقال : ثلاث رذائل يقتلن ، في نظري ، ثلاث فضائل اذا اجتمعن اليهن : المنّة تقتل الجود لدى الرجل الكريم ؛ والتعصب يقتل التقوى

لدى رجل الدين ؛ والكبرياء تقتل الجمال لدى المرأة الحسناء . واشدها على نفسي الاخيرة .

فتبسمت هيلداكارد وقالت : قول جميل . واجمل منه ان تدلني على غريمك فارى ءانت صادق في وصفك . ثم اعمل لتقريب ما بينك وبينه ، ان تمكنت .

فقال : انت ملاك مقدس ، يا سيدتي . ولو شئت ان اكافئك على لطفك لما وجدت خيرا من لحن قدسي اضعه من اجلك .

فسألته : ءانت موسيقي ! فاجاب : لي بعض الولع بالبيان .

فقالت : على بعد خطوتين منك بيان فهيا اليه . ولا خوف ان يسمعك احد فالابواب مغلقة . وظني انك لا تستصعب التوقيع في الظلمة ؛ فالموسيقيون يرون في الظلام ما لا يرونه

في النور .

لم ينبس الشاب ببنت شفة . بل تحسس البيان فاذا هو قريب من احـــد مداخـل الشرفـة . فقعد اليـه . وارسـل كفيه على ركبتيـه . واطرق سـاعـة . ثم ضغط الاصابع العاجيـة بانـامل عصبيـة فانبعث لحن عميـق ضخم . تبعه لحن مضطرب لم يزل ينخفض رويدا رويدا حتى اصبح اقرب للهمس . وكان من النغمات الاخيرة لحن ناعم مؤثر انساب في الفتـاة ؛ فـكان كالمخـدّر ينشقـه المـرء فتسترخي جوارحـه ، ويغشى على بصيرته بغشـاء رقيق شفاف . ويسمع الاصوات من حوله ، ويرى الاشيـاء ويلمسها ، ثم يشعر كأنه في عالم غـير عـالمهـا ؛ واذا اراد تحريك ذراعـه او قدمـه احس كأن النشوة انقلبت فيهـا الى سائل ثقيل

كالزئبق يمنعها عن الحراك .
وانها لكذلك اذ رأت نفسها تقفز قفزة عصبية جعلتها على قيد خطوة من البيان .
واذا هي تسأل بنبرة غريبة يخالطها بعض الحدة :
— ما اسم غانيتك ايها السيد ؟ . .
ولكن الشاب ظل مسترسلا في توقيعه كانه لم يسمع سوآلها . وكأن صوتها اثار في نفسه كوامنها فانصبت على الاصابع العاجية بالحان متكسرة سريعة غاضبة ، يقطعها من آن الى آخر لحن رقيق ناعم ؛ الى ان همس صوت الفتاة متوسلا :
— ما اسمها ؟
فعادت النغمات الى هدوئها . وانبعث في سكون الليل ثانية ذلك اللحن الخافت . وبينا الفتاة ذاهبة في خيالها وقد اسلمت الروح الى تموجات

الموسيقى ، تهيم بهـا من عاطفة الى عـاطفة ومن عـالم الى عالم . كما يهيم النسيم بالفراشـة من زهرة الى زهرة ، ومن روض الى روض ، وهى يائسة من سماع سر الموسيقى المجهول ، اذ تحركت شفتـاه وانسـاب من بينهما كلمة كأنها المحط الأسمى لتلك الموسيقى الليلية الغريبة :

— اسمهـا . . . هيلدا كارد !

كم من مرة سمعت هيلدا كارد كلمـة « احبـك » من افواه الرجال . وكم شـاب جثا بين يديهـا جاعلاً قلبه ومـا ملكت ايمـانه موطئاً لقدميها ؛ ونفسهـا المغلقـة الدقرة [1] لا تزداد الا صـدّاً واعراضا ! ولقـد اعتـاد سمعهـا من ضروب المناجاة مالم يبق فيها من طريف . حتى اصبحت كلمات

(١) المشبعة كثيرا

الهوى والتثاؤبُ لديها سواءا . اما كلمة هذا الموسيقي البسيطة ، يلقي بها اليها هادئا مطمئنا ، كسرّ يأتمنها عليه ، فانها وقعت من نفسها وقعا تصدع له قلبها وجزعت روحها . وكأن طائفاً من الجن دار بها واثار القلق والاضطراب في رشدها فارسلت يديها الثماتين على ظهر مقعد قريب منها واعتمد رأسها المشدوه على صفق[1] الباب . وكان البيان لايزال عـلاُ المكان بنغماته مخاطباً هيلدا كارد بلغة بليغه عذبة . فوقفت على ذلك هنيهة ثم اتاها انه قد يدخل الشرفة متطفل فيتأوّل عن رؤيتها على تلك الحال التآويل ؛ وخافت ان ينكشف للرجل سرها فيعلم انها هى خصمه الذى استعدى[2] بها عليه . فسقط في يدها

(١) مصراع الباب (٢) طلب منها العون عليه

وهلة ثم تقهقرت بخطوات خفيفة لا خفق
لها ، الى ان صارت على عتبة المدخل .
فوقفت وقفة من عليه ان يغادر مكاناً ولا يجرؤ .
ثم اقتلعت نظراتها من الموسيقي السابح
في خياله ، وانطلقت بسرعة في الرواق المؤدي
الى القاعة الكبرى .

نسرت هيلدا كارد جبة الفرو الابيض عن
كتفيها . وانسابت بين المدعوين . وما كاد
احد الراقصين يدلف [1] منها طلبا للرقص حتى
طارت اليه وهي ترشق مدخل الرواق بنظراتها
الوجلة المشوفة [2] . ولقد استبطأت ظهور
الموسيقي الغريب حتى دار في خلدها انه ربما
غادر القصر بطريق الشرفة او رجع الى نجومه

(١) تقدم منها وهو يقارب الخطو في مشيه
(٢) تشوف الى الشيء واشتاف اليه : تطاول ونظر اليه

يسألها عن نجمه الضائع . ولكن الرجل المقنّع لم يلبث ان ظهر بقامته المربوعة الرقيقة ومنكبيه العريضين وخطواته الثابتة . وقد تقلنس بقلنسوة من جلد المعزى الابيض . وتسربل بجبة قصيرة حمراء مزركشة ، من تحتها سروال ابيض لاصق . وانتعل موقاً [1] ابيض من الجلد . وتمنطق بنطاق تدلى على جانبه خنجر مرصع بخيوط الفضة وبالحجارة الكريمة . ولقد استهوى زيه وحسن قدّه الانظار ؛ وكلما مر بجماعة حدجوه بابصارهم المعجبة وقالوا ، بالرغم من انهم لم يروا وجهه : ياله من امير جركسي جميل !

وكان اجمل ما في الرجل مشيته المستقيمة الرفيعة ؛ يمشيها بلا تكلف كأنه ما تعود

(١) خُفٌّ غليظ

مشيـــة سواهـــا . ولقـــد وقــع في روع الحاضرين انهم بحضرة امـير جركسي حقيقي . فما طلب الى احدى السيدات رقصة الا طارت اليه راغبـــة مسرورة . الى ان رماه تيـــار الراقصين على مقربة من هيلدا كارد فاضطربت الفتـــاة اذ شعرت انه يرمقهـــا رمقـــا ملحا . وكان بودهـــا ان تتـــوارى عـــن نظراته او ان يراقصها احـــد الشباب فيخرجها من موقفهـــا ذاك . وكأن الشباب الذين داروا بها شعروا بان الامـــير الجركسي يريد ان يراقص صاحبتهم فلم يفكر احد منهم بمزاحمته على تلك الرقصة . وتقدم الرجل بخطوات ثابتة وأحنى رأسه حناية خفيفة فلم تتمكن هيلدا كارد من الافـلات ولبت طلبه صاغرة .

خافت هيلدا كارد ان ينكشف سرها فآلت على نفسها الا تتكلم الا همسا فلا يعرفها منجم الشرفة من صوتها . ولكن الرجل لم يكلفها ذلك العناء . فلم ينطق بحرف واحد طيلة الرقصة الاولى . حتى شعرت الفتاة بحاجة ملحة الى التحدث اليه . وقد زادها صمته العنيد، ومهارته في الرقص ، وما تحسسته في ذراعه وصدره من قوة ، رغبة بالتعرف اليه .

— لم لا ترفع قناعك ايها السيد ، وقد حسر معظم الراقصين عن وجوههم ؟

— ان اعياد المساخر ، والحفلات المقنعة هي الايام الوحيدة التي يتعزى بها دميمو الوجوه عن قبحهم . فدعيني انعم بستر قبحي ساعة اخرى اكن لك شاكراً .

— أنها لصراحة عجيبة ، وتواضع اعجب !

— احرى بالرجل ان يسبق بذكر عيوبه من ان يسبقه الناس الى رؤيتها .

— ولكن جمال الرجل لا يقدمه في نظر المرأة شيئا . فالجمال هو زينة المرأة ، وزينة الرجل الرجولة .

— ذلك ما لا ريب فيه . ولكن لي طبيعة سخيفة انوفة تأبى علي ان اظهر امام امرأة « اعجب » بجمالها ، بينما هي « تتعجب » من قبحي .

— الا تعلم ان القبح والعبقرية يكادان يكونان توأمين في الرجال النوابغ ؟

— اعلم ذلك . اعلمه . وماذا تقولين في رجل مات احسن توأميه وهو لما يزل جنينا فلم يبق بين يديه سوى توأمه المشوه الحزين ؟ .

— من اخبرك ، ايها السيد ، اني ساستقبحك ؟

— كفك الصغيرة . .

— كفي الصغيرة ؟ ! لا احسبك الا منجما ماهرا

— لا املك من علم التنجيم شيئا . وجل ما هنالك ، اني اتطفل على النجوم احيانا لادرس مواقعها في السماء .

— لا بد انك شاعر .

— بيني وبين الشعر نفس باردة كثيفة ، وطبيعة عوراء ، لا ترى من الحياة سوى جانبها المادي .

— ولكنك تحب الرقص ..

— احبه لأنه رمز الحياة ، وحيلة المدنية لتقريب ما ابعدته التقاليد ما بين الرجل والمرأة .

— والموسيقى ؟

— احب منها الالحان الخفيفة المرحة كالتى يتسلى بها قرويو القوقاز .

— والالحان الوجدانية الحزينة ؟ اليست اروع

ما ابتدعته عبقرية البشر لتغذية افئدتهم ، وللخروج بهم من عالمهم المادي الى عوالم الروح اللانهائية ؟

— ربما كانت كذلك . ولكني ، لا اكتمك ، لا افهمها كل الفهم ، واجد باستيعابها بعض الصعوبة .

— الا تعزف بآلة ما ؟

— انفخ في الرباب الحانا تعلمتها من رعاة بلادي .

— والقيثارة ، والطنبور ، والبيان ؟ الم تتعلم الضرب عليها ؟...

— تلك آلات خلقت لانامل الغيد . ولا ابعد مني عن معرفة اسرارها .

— وان اوقعك القدر بحب غانية ما ، فبأي اداة تطربها ؟

— ذلك ما لن يقع .

— ولمَ ؟ . . اوليس لك قلب يخفق ؟

— لقد وخط الشيب فوديّ . واغلق فوآدي دون الحب فلن ينفتح له أبدا .

— ءانت واثق بمناعة قلبك ؟ . .

— وثوقا ما بعده غاية .

— وان سألتك ان تطرب اذنيّ ، فماهى حيلتك ؟

— احدثك بمحاسنك . واصفك بما يوصف به الجمال الـكامل .

— اهـذه هي موسيقاك امام النساء ؟

— ان ابدع لحن يقرع سمع المرأة هو الاشادة بجمالها ، وتعداد ما تفوق به بنات جنسهـا من محاسن .

عجبت هيلدا كارد لمراقصها عجبا شديدا . واثار تكتمه فضولها الغريزي . وودت لو انتزعت قناعه من على وجهه وصاحت به : انك تدعي انك لا تحسن الدق على البيان ، ولا تفقه للموسيقى معنى ، ولا تستطلع النجم سرا . وانت امهر من لمست انامله البيان ، واحسن الناس فهماً للالحان العلوية . بل انت شاعر ، وعاشق ، ومنجم . تكاد لا تقول قولا الا وزنته بميزان العاطفة . اما غرامك ، فتلك هي الشرفة ، لا تزال ترجع صدى اعترافك !» .

لكنها كتمت مافي نفسها وسألته :

— اءنت قوقازي ايها السيد ؟

— بل روسي من سان بيترسبورغ [1]

(١) هو الاسم الذي لا يزال معظم الروسيين البيض يطلقونه على مدينة لينين غراد .

— لا بدّ انك قضيت سنوات عديدة في برلين .

— لقد لجأت اليها مع آلاف الروسيين بعد الانقلاب السوفياتي فاصبحت لي وطنا ثانيا .

— لما يتح لي السرور بمعرفة اسمك ايها السيد ..

— يخيل الي ان من عُرف الحفلات المقنّعة الا يتعارف فيها الناس باسمائهم . .

— ولكني اسألك منحي ميزاً خاصاً .

فامسك الروسي هنيهة، ثم رمق مراقصته بنظرة ثاقبة وقال :

— بيترو داكوفيتش .

فتفرست هيلداكارد فيه طويلا ولكن قناعه الابيض رد طرفها خاسرا . وقالت الفتاة في نفسها : اتراه يصدقني ؟ .. ورأت ان تعيد

عليه السؤال علها تلمس في نبرة صوته ما يحقق شكها . فقالت ، متعمدة الاخطاء في لفظ اسمه :

— السيد بيترو دانوفيتش ؟ . . لي الشرف يا سيدي بمعرفتك .

فصحح الرجل بنبرة جادة :

— عبدك بيترو داكوفيتش يشكر لك لطفك الجم . ويعد نفسه اسعد الخلق بمعرفتك . وهو سيكون اكثر سرورا ان انت خصصته بآخر رقصة الليلة .

فقالت هيلداكارد بدلال ساحر ، بعد تردد ما :

— للسيد داكوفيتش ما يريد .

ترقرقت نسمات الصباح العليلة . وشعشع من وراء الهضاب الشرقية نور حمراوي خفيف ، فانقلب سواد الظلمة رماديا ، مخضراً ، كلون الخضم العكر .

فارسل بيترو دا كوفيتش يده برفق من بين يدي جليسته ، وارخى على محياه القناع . ثم تحرك يريد الانصراف . ولكن ذراعي الفتاة الثملين تعلقتا بمنكبه وتمتم صوتها العذب الناعم:

— ساعة اخرى يا بيترو !

فقال : لقد وعدتك الا امكث بعد ذهاب المدعوين اكثر من بضع دقائق . وها انا هنا منذ اكثر من ساعتين .

فقالت بحنين : جعلتك في حل من وعدك . فلا عليك ان مكثت ساعة اخرى تنهي لي بها حكاياتك الاخاذه .

فنزل بيترو عند رغبتها فرحا . وما كاد يقترب بكرسيه منها حتى امسكت قناعه تريد نزعه . فضغط بيترو يدها بقوة ثم جعل خنصرها بين ثناياه وقال :

— الم تتعاهد ، يا هيلدا على ان يبقى وجهي منك مجهولا حتى لقاء آخر ؟



عدوّ حبيب

من هيلدا الكر
الى ايفان كوزاروف

فن زيه ، ١٨ ايار

لو كنت اعلم ان بك حسا سليما لتركت اليك مهمة الحكم في المهزلة التي قمت بها في منزلي. ولكني أحسبك خاليا من الحس خلو قلبك من العواطف . ولا اظنك ناظراً الى عملك الا نظرك الى تسلية بريئة ، كتلك التسليات التي تعودت ان تقتل بها وقتك .. لقد اخللت بآداب الضيافة اخلالاً يجعلني اشك في علو محتدك (ومالى احدثك عن الآداب وغيرها ، وانت لم تدع في حياتك عرفا الا دسته ، ولا عرضا الا دنسته !)

اطاب لك ان تسخر بي وتصل مني ،
بتلك السهولة والسرعة ، الى بعض بغيتك
الفاسدة ؟ . .

رويدك ، ايها الرجل ، رويدك . فان ما مضى
قد فات . ولا احسب اللذة التي استرقتها مني
بعادلة ما احمله لك اليوم من زراية ومقت .

ليتك تصرف بعض ذكائك في الخير ، اذن
لاسديت للناس ولنفسك معروفا . اما تلك
التسلية التي جعلت منها مهنة لك ، فهي جديرة
بتلك الفصيلة من الفحول [1] التي يستعملها
الفلاحون لاكثار نسل انعامهم . . . وليس
فيها للرجال خير ولا فخر .

واني لاشفق على اسمك ان تستهين به ذلك

(١) ذكور الحيوانات

الهوان ، فتبدله كل يوم اسما آخر . فتارة انت ايفان كوزاروف ، وطورا بيترو داكوفيتش ، واحيانا تسير كذوي الريبة ، جسما بلا اسم .

. . .

لقد الّفتَ مهزلتك التي لعبتها في منزلي من فصلين . لا اكاتمك ان فيهما من المهارة قدر ما فيهما من غدر . الفصل الاول ، هو الذي قمت بتمثيله على الشرفة حين صادفتك اول مرة — واظنك كنت عالما ان التي تحدثت اليها ، هي ذات التي تحدثت عنها — . والفصل الثاني من روايتك الناجحة ، هو ما فعلته ابان مراقصتي وبعد ارفضاض المدعوين .. واني ان اسفت على شيء فليس كأسفي على اني لم اكتشف حقيقة امرك في الساعة التي كنت تسبح فيها في عوالم خيالك الخصب الفسيح حتى

اقفك عند حدك بما كنت تستحقه .
ان كان كل ما املك اليوم من عقابك
هو هـذه الرسالة الصغيرة . فاملي ان تجر
عليك مغامراتك المقبلة ما يثأر لجماع ما اتته
يداك من اثم . والسلام .

ه . ه .



من هيلدا الارد
الى ايفان كوزاروف

فن زيه ١٨ ايار مساءً

سيدي
اسألك الصفح عن تلك اللهجة القاسية التي خاطبتك بها في رسالة هذا الصباح . ورجائي اليك ان تمزقها ، فكأنها لم تكن .
آمل الا تحمل رجوعي هذا على أني غفرت لك سيئتك .. فعملك لا يُغتفر .

تقبل تحية

هيلدا الارد هنزنجر

منذ أن انكشفت لهيلدا كارد حيلة ايفان ، عفواً ، ثار ثائر كبريائها واقتمت الدنيا في ناظريها. وكلما بدت في مخيلتها صورته المتهمكة الزاهية بانتصارها ، شنجت اصابعها ، وضهست شفتيها واطراف كفها ، وبعثت من صدرها زفرة غضبى تكاد تقف رجع انفاسها .

وكانت تود لو ان خصمها العنيد المنتصر آنية خزفية او وعاء من زجاج فتدقه على الارض دقا او تحطمه بين يديها تحطيما .

وكانت تضرب في القصر رائحة غادية . وقد تجهم وجهها ، وتوترت اعصابها . يكاد السخط يرشح كالعرق الزعاق من مسام جسدها . وهي تارة في قاعة الاستقبال ، وطورا في الحديقة ؛ ومرة على الشرفة تستعرض في مخيلتها حديثها مع « ايفان كوزاروف — بيترو داكسوفيتش » ، او هي

امام البيان مطرقة ، تّصت بالرغم منها الى ما لا يزال يتردد بين جوانحها من نغماته العميقة السحرية . وكانت تردد بينها وبين نفسها :
— « اوَسخر منيْ في عقر داري ، واستنطق لساني مالم اسمعه في حياتي رجلا غيره ! .
اوَ لمس ضعفي في اضطراب جسمي ، وارتعاش يدىّ ، واختلاج شفتيّ . واسترسال دمعي بالحانه الشجية ، واحاديثه المؤثرة ، بينما كان يحدجني من وراء قناعه بنظراته الماكرة المنكره ! اونقدته القبلة المصطنعة قبلةً صادقة ، والهمسة الهازئة همسة قلبية ، والود الكاذب وداً جرت به روحي واهتزت عنه قرارة قلبي ! »
ولقد كان بودها ان تصب في رسالتها الى كوزاروف جام غضبها وان تنعته فيها باحط ما في المعاجم ولغه السوق من نعوت . ولو

امكن لارفقت رسالتها بحبة من سم . ولكنها ما كادت تبعث اليه بما تمكنت ان تكتبه حتى اخذت على نفسها تلك اللهجة المبتذلة التي خاطبته بها . وكبر عليها انها هبطت من عليائها الى مستوى لم تألفه من قبل . فقامت تعتذر اليه برسالتها الثانية . لا اشفاقا عليه لما قرّعته به ، بل ذهاباً بنفسها ان تظهر امامه بمظهر المرأة العادية السليطة .

* * *

ما من مرة فكرت هيلدا كارد ، بعد ذلك اليوم ، بايفان كوزاروف المعتدي ، الباغي ، الدعيّ ، الا قابله في خاطرها بيترو داكوفيتش الاديب ، الحلو ، الذكيّ .

وكان الشخصان يمران كالشريط امام مخيلتها . الاول يقول بكبر :

قهرتك !

والثاني يهمس بصدق :

احبك !

ايفان يمزق قناعه عن وجه ساخر مستهتر قائلا : لقد تمتعت بك ساعة ، وساطرحك في زاوية المهملات من قلبي .. وبييترو يكشف قناعه بتؤدة ثم يحمل يدها الى شفتيه الراجفتين ، قائلا : لقد نزلت من قلبي مكانة لم ينزلها انسان من قبل ، ولن ينزلها احد من بعد .. وموسيقى بيترو واكوفيتش ترافق العرض بنغماتها المؤثرة . ولا تفتأ تنساب في هيلدا كارد حتى تملك حسها كله وتخدر منه ناحية الغضب . وينبعث في قرارة نفسها صوت ناعم حنون كهدهدة القمري

في الصباح الباكر :

« انتها الآنسة . .

أرأيت الى النرجسة تحفّ بها الاعشاب المتواضعة ؟

والغدير الجموح يقهقه في توثبه على الصخور المخضرة الملساء .

- - - - - - - - -

انها تشبه النرجسة بدلالها وعلوها . والغدير بمرحها وصباها . والحمل بوداعتها وانسها . . وروحها المتدفقة في كل نظرة من نظراتها ، بها تاجج اللهيب ، وسمو الدخان ، والامل والحياة تبعثهما النار في المتشرد داهمته العاصفة في الليلة الهوجاء ! » . . .

قبل سنين

الحب سر الكون
اناتول فرانس

لم يكن ايفان كوزاروف قبل ليّه[1] ليعتقد انه سيصبح مرة حديث النساء وقبلة انظارهن . بل كان يشعر بوجل وضعة كلما جمعته المصادفة الى فتاة ما . ويعتقد أن الله اودعه شيئا غريبا ينفر النساء منه ويقصيهن عنه . واذا ما تحدث الى امرأة جميلة هزت جوانحه نشوة عميقة ، ودوّى فى فوآده هدير اللذة والابتهاج ؛ حتى اذا همّ ان يظهر خبيء نفسه ، أخرسه الحياء ، ونشر على وجهه غشاء من الغباوة . وربما القت عليه كليمته بسوآل فتلعثم لسانه ، ونطق بضد ما ينطق به جنانه . ثم قام يجرّر اذيال الخيبة . وقد ازداد يقينا انه لم يخلق ليستميل عطف المرأة بل ليثير سخريتها او اشفاقها .

(١) قبل بلوغه العشرين

ولقد بلغت به هذه الحال اشدها حين غادر برلين ، وطنه الثاني ، الى بلدة ايكس — ليبان الافرنسية الأنيقة، ليقضي فيها عطلة الصيف . هنالك ، بدت له المرأة الافرنسية بعبثها ومجونها ، كمخلوق خطر مخيف ؛ لا يكاد الرجل يدنو منه حتى يزعقه بحمة [1] التهكم والسخرية .. والتهكم والسخرية كانا آفتي ذلك القلب الفتيّ الحساس . وكأن اعجاب ايفان بفتاة ما كان كافيا لان ينفره منها . فاول ما يستهويه في المرأة هو جمالها وظرفها ، وعذوبة صوتها ، وصفاء ابتسامها ، ورقة شعورها . وكل هذه اشياء يشعر في قرارة نفسه أنها خلقت ليتمتع بها غيره ، وان حظه منها كحظ اليتيم في بيت لئيم ، تمر امام عينيه اقراص الحلوى والفطائر

(١) زعقت العقرب بحمتها : لسعت بابرتها

الشهية وهو يعلم ان ليس له منها سوى الشهوة الباطلة الاليمة .

* * *

وقعت ايلفير من قلب ايفان موقعا حسنا . وليس ذلك بالامر العجيب .. اولا يكفي ان تكون فتاة رشيقة ، جذابة الملامح ، عذبة الصوت ، رخيصة الابتسامة ، غنية بشعرها الذهبي ، ونهديها الفتيين ، يكادان يشقان صدرتها ليرميا بنظراتهما الفضولية على العالم الجديد الغاوي ؟ !

ولقد يسمع اسمها يردده صوت امها الرنان من خلال نافذة الفندق الذي كان يقطنه فيخيل اليه انها (ايلفير) الشعرية تلك ، التي علقها

لامرتين في البلدة نفسها ، والتي لا تزال ذكراها تردد في قصائده حتى اصبحت خالدة على الدهر.

ولقد رأى ايفان من الفتاة ملاينة شجعته على الاقتراب منها . ثم عرض عليها ان يرتادا معا ضواحي البلدة . فكان له ما اراد . ومنذ ذلك اليوم تمكنت اواصر الالفة بينهما ، وانحلت من نفس الشاب تلك العقدة التي كانت تقيد لسانه وحركاته . وانطلقت الابتسامة الراضية على محياه . وتحركت في دماغه صور جديدة زاهية ، واناشيد سعيدة ، لو اتيح له ان يصيغها شعراً لجاءت رمزاً خالداً لسعادة الشباب الاخلاء . ولكم عمد الى قلمه ، يبثه ما يترع نفسه من بهجة . حتى اذا وجد ان ما جاء به قلمه لم يف بما اختلج في احساسه ، مزق الورقة مشفقاً ، وهو يقبلها لكثرة ما ذكر فيها اسم ايلفير.

ولقد اصبحت المرآة تحدثه بما لم تكن تحدثه به بالامس . فشعره الاسود الأثث اصبح يلقى رضى من نفسه ، بالرغم من تشعثه وانحداره بشكل غير مألوف على الصدغين . اما انفه . انفه الذي كان ينقم عليه استرساله وقناه وتغطي مرسنه [1] بالحاجبين ، والذي كان يحمله تبعة انصراف النساء عنه . فقد شمله ، هو ايضا ، الرضى ، بل وبعض الاعجاب . . أليس في انعقافه الخفيف علامة الارادة والانفة . وفي استطالته علامة صفاء القلب وحسن السريرة . وفي تلك الشعرات التي تزينه علامة الشكيمة والبأس ؟ . . يالله ، كل علائم الرجولة التي يحبها ايفان الشاب موجودة في انفه ، وهو ما زال يحمل له ضغينة حتى رضيت به ايلفير فرضي عنه !

(١) مرسن الانف اعلاه

ولقد كشفت له المرآة عن محاسن جديدة في وجهه لم يأبه لها من قبل . فتلك الاسنان البيضاء الصغيرة تزين فمه اي تزيين ! رغم تلك القطعة الذهبية البارزة قليلا في احدى ثناياه .

وربما زادت هذه القطعة اللامعة في ملاحة ثغره . . وها هو يبسم المرآة بسمة عريضة، ويتأمل القطعة الدخيلة اللامعة. . وسرعان ما تنال عطفه واعجابه .

وعيناه ! . . ما هذا الشيء البديع ! صحيح اذن ما كان يسمعه من امه ان عينيه اجمل شيء فيه ! . . ولكن تشعث الحاجبين ، وذهاب الاهداب كل مذهب يفقدهما بعض روعتهما. فليتبع شعر الحاجبين سبيلا واحدا ، ولتنح الاهداب نحواً واحدا في التصعاد والنزول . . .

ذلك ما انكشف لعيني ايفان بعد ان مسته المرأة براحتها السحرية .

ولا ريب ان ما جناه الشاب في حياته الجديدة من ثقة بالنفس ، حطم ما ارتفع بينه وبين المرأة من حواجز الوهم . فغدا يأنس باللواتي يراهن من الفتيات . وينطلق معهن احيانا هزلا وجدا ، حتى لتحسبه عريقاً في مجالسة النساء .

ولقد خيل اليه انه بلغ بقلبه ابعد درجات الغرام فعزم على نفض هواه امام مالكة قلبه . وما كاد يبدأها خطابا كان قد اعده بكثير من التأمل ، ووضع فيه جميع ما يكنه لها من عواطف ، حتى انس منها فتورا جعله يزدرد ما تبقى على لسانه من الخطاب ، ويأسف على ما لفظه منه . ثم تبين له ان الفتاة انما خصته بجزء

رخيص من عواطفها، بينا وقفت قلبها على شاب آخر كان يرتاد الفنـدق من آن الى آخر .
فارتد اليأس الى فؤاده يلطمه ويحزه ويثير فيه اعاصير الخذلان والغـيرة . ولكن وجهه لم يحمل من كل ذلك سوى أثر خفيف من الكآبة.
ولم يستطع المسكين بعد هذه الحادثة في الفندق بقاءً، فغـادره غير آسف . وقد ضن على الشهرين اللذين قضاهما فيه ان يخلد ذكراهما في مذكرته بغير السطور الآتية التي احتفظ بها كذكرى لطيفة طيلة حياته :

ايكس ليبان ٢٩ ك ١ ١٩٢٣ .

« لقـد ركبني الغرور اذ حسبت ان فتـاة احبتني ... في العـالم رجال كتب عليهم الا تقـابلهم المـرأة بغـير الجفـاء والصد .. وانـا من هؤلاء . »

ايكس ليبان ١ ك٢ ٩٢٤ . منتصف الليل

« ١٩٢٣ تدق دقاتها الاثني عشرة الاخيرة .
الانوار تطفأ في المراقص والمقاهي والبيوت .
كل شاب يهرع الى صاحبته ليضع على شفتيها
قبلة رأس السنة . . الا" انا .

ما اصعب ان يعيش الرجل دون امرأة !
انا لا اعرف المرأة ، ولكني اشعر انها الجزء
الذي لا مندوحة للرجل عنه ليحيا حياته الكاملة
التي خلقه الله لها .

كلما رأيت في ملعب (بوش) المتنقل ذينك
التوأمين المتلاصقين ، لا يعيش احدهما الا اذا
عاش الآخر الى جانبه ، خيل الي ان لروح كل
رجل من الذين اعرفهم توأمها المتمم في روح
امرأة تحبه . . اما روحي ، فانها خلقت شطراً
واحداً لا مكمل له . » .

ايكس ليبان ٨ ك ٢ - على شاطئ البحيرة -

« لا يكاد الشاب يفتح عينيه على عالم الوجدان حتى يلمس بين جنبيه روح لامرتين وجوته وغيرهما من الذين كانت حياتهم قصيدة من قصائد الحب الخالدة . ويتخيل لمستقبله حياة كحياتهم الا أنها اسعد حظاً واطول مدى . . وويل للذين تطيش احلامهم ولمّا يبدأوا ! . .

لقد نفضت يدي من الجمال والشباب . واصبحت اقنع بالحب مجردا من كل ما يزينه . فلست اطلب ان تحبني غانية ، ولا شاعرة ، ولا امرأة صبية . فحسبي من السعادة ان تلفظ امرأة ما ، مهما كان شأنها ، اسمي مقرونا بكلمة « احبك » .

اعار ايفان بذلته الرسمية صديقاً من اصدقائه — وكيف لا يفعل، وهو قد اعتاد ، منذ نعومة اظفاره ان يعتبر كل ما بين يديه ملكاً لذويه ورفاقه ؟ — واذْ اقبل الليل وارسل اشباحه السوداء الثقيلة الى القلوب الضعيفة اليتيمة لتمتطيها وتعمل في جوانبها الرقيقة مهاميزها ، ولج ايفان بيته بخطى متعبة حائرة . وكأن السآمة عجوز شمطاء كريهة ترصده في كل زاوية من زوايا بيته ، فهو لم يكد يمد يده الى المرتاج حتى مدت اليه يدها العظمية الراجفة . ولكن امل الشاب في ان يقتل ساعات الوحدة بالقراءة او الدق على البيان ثبت جنانه قليلا .

.

لا القراءة ولا الموسيقي ولا الغناء المرح تمكنت من تلابيب ذلك الكابوس الرابض على قلبه .

فهل يعمد الى الكتابة فلعلّه يجد فيها بعض التسلية ؟

و ما ذا عساه ان يكتب ؟ . . ايسطر على القرطاس ما انحفر في جوانب قلبه ، وما اعتاج في دماغه وحسّه ؟ ايكتب همومه وشجونه ، وآمال نفسه المشوقة المهيضة ؟ . . لن يزيده ذلك الا حسرة على حسرة . فايفان من الرجال الذين ان وقّعوا شجنهم في القرطاس او على الاصابع العاجية لم يزدادوا الا الما .

لا خير من الرقص لاسكات هذه الاصوات الصاخبة في قلبه . لا خير من الرقص ، وان علم ايفان انه سيخرج منه اشد حزناً مما دخله . . وهل في ذلك ريب وهو ما دخل في حياته مرقصاً الا خرج منه بخذلان جديد ! . . .

ولكن الحفلة الراقصة الأنيقة التي يقصدها رفيقه علابس ايفان الرسمية تغريه بأنوارها الساطعة ومردها الأكيد . فهو سيلجأ اليها من ضجره ؛ كالمتشرد ليلا في مفازة موحوشة ، تقوده قدماه الى النور البعيد ولو علم ان حوله عصابة من المجرمين .



— انظري ! انظري ! كيف يكنس ذلك الشاب الارض بسرواله السابغ [1] !

— يا له من منظر لطيف ! . . يخيل الي انه بعد هنيهة سيضيع سرواله ؛ فلنطر الى نجدته !

وقعقعت ضحكات الفتاتين في ارجاء المرقص مختلطة بصرخات الجاز الحادة الجنونية . ومن حسن حظ ايفان انه لم يسمع حديث الماجنتين ، ولم تبلغه ضحكاتهما الهازئة الرنانة . فلو كان ذلك لاندفع جميع ما في غدده من عرق الحياء . ولدارت به اسلاك الارتباك والحيرة والخجل ؛ فاصبح كتمثال من شمع ، لا لون له ولا حراك . ولقد كان في تلك الهنيهة يرقص مع فتاة لطيفة رقصاً بطيئاً حذراً ، وقد خصف [2] فخذاً على فخذ ليحول دون انزلاق

(١) الذي تهدل وطال الى الارض (٢) . الصق

سرواله الفضفاض المستعار ، بعد ان احس بتراخيه وتهدله .

ولا تسل عما كان يدور في خلده في تلك الساعة من آيات الشتائم . يصبها على نفسه صباً ، آخذاً عليها حضوره الحفلة الراقصة الانيقة ببذلة جمع اجزاءها من كل صوب ، غير سائل اهي لائقة به ام غير لائقة . ولم يكن بين يديه من يريق عليه نقمته سوى الفتاة التي يراقصها . فان حدثته اجابها بما يوشك ان يكون انتهارا . وكانت كلماته جافة مقتضبة ، تتخللها ، من آن الى آن ، كلمة رقيقة او اشارة اعتذار سريعة .

وكأن اعراضه وقع من نفس انطوانيت موقعا حسنا ، واصاب وتر الانوثة فيها ، يتحرك كلما بدت سيطرة الرجل في شكل من اشكالها

المختلفة العديدة ، فما كادت الموسيقى تمسك حتى صفقت الفتاة بحماسة كما صفق باقي الراقصين ، فعادت الموسيقى الى شأنها ، وقضي على الشاب المعذب ان يعيد الرقص مع صاحبته وهو يرتعد خوفا ان يخونه سرواله فينزلق على حين غرة امام الراقصين جميعا .

* * *

منذ تلك الليلة الثقيلة انفتحت امام ايفان كوة جديدة على عالم المرأة . وتتالت عليه المفاجآت الغرامية من كل صوب . واذا هو فجأة صديق انطوانيت ، مراقصته العنيدة ؛ واذا هو بعد مدة قصيرة ، يتناول على مائدتها ، صحبة

امها واخواتها ، لمجة [١] العصر . ثم يخرجان الى الحديقة ، يتنزهان بين خمائلها ورياحينها . وقد تعاقد خنصراهما كأنهما طفلان عائدان من الكتّاب . وتقف بهما اقدامهما فجأة ، تحركها ارادة واحدة ، وراء خميلة كثيفة.. واذ يشعران بالوحدة المطلقة تبعدهما عن اعين الرقباء ، يداهم قلبيهما الفتيين شعور حلو مضطرب . ثم يطرقان دقائق يتحسسان بها لذاذة لم يألفاها قبلا .

وتمتد الايدي هوينا ، هوينا ، حتى اذا تلامست ، انتفض الجسمان انتفاضا خفيفا ، وتراسلت العيون البريئة بنظرات حائرة ماع فيها الحنين وشعشع الوجد .

(١) في الاصل العدف ، او القليل من الطعام ، يتبلغ به قبل الغذاء . وهي تقابل هنا كلمة (تعصيرة) العاميه

وانحنت هامة الفتاة رويداً ، رويداً ،
لتتكئ على موضعها الطبيعي من كتف الشاب .
ثم قبلة مضطربة سريعة ، كشربة المهر الروع
من الغدير الدافق . ثم . . المعجزة ، تلقى في
روع ايفان انه يحلم :

« ايفان . . اني . . احبك ! »



وحى المرأة

اما وقد رأى ايفان ان الاعراض اناله من المرأة ما لم ينله اياه التودد والعطف والالحاح . فهو لن يلجأ بعد اليوم الى وسائله الاولى للتقرب من امرأة تعجبه . بل سيعمد الى الحيلة والتمثيل . وسيشحذ الذهن حتى تكون له نظرة ثاقبة ، تخترق حجب الطبيعة الأنثوية ، وتتغلغل في اعماق ميولها . وسيتقرب من كل امرأة بالطريقة التي توآتي مزاجها .

وها هو اليوم يتكلف عدم المبالاة امام ربيبة النعمة وبنت الدلال . . ويلح بالتودد ، يتخلله اعراض خفيف مصطنع ، امام المرأة الناضجة ، المتخطية عتَب الشباب الى الكهولة الحمراء . . وتارة هو خلو يميل الى المرح والمجون . وطورا مفكر يتبرم بالحياة ويتهكم الانسانية . او بوهيمي يتغنى بالطبيعة والعيش الطليق الفطري .

وتارة هو رياضي يتعشق السباحة والعدو والقفز والانزلاق والزلوج والتسلق والمسايفة [1] .
وطوراً متأنق لا يغشى سوى الاجتماعات المدنية والحفلات الأنيقة الرفيعة .

واذا سمعته يحدث امرأة عن الموسيقى الجدية خيل اليك انك بحضرة باغانيني ، او فون فاينغارتنر ، او برونو فالتر ، او استوكوفسكي [2] .
او رأيت الى وجهه كيف تنقبض اساريره ، وتبرق عيناه ، ويشع منه الالهام والغامة حين يذكر الموسيقى الغجرية او الروسية حسبته غجريا محضا ، ليس فيه من رجل المدنية سوى المظهر . وكأنه ، حين تهزه العاطفة وتنشيه

---

(١) كل هذه ضروب من الرياضة يهواها الاوروبيون . والمسايفة تكاد تكون اشهرها في المانيا

(٢) هم اشهر مديري الجوقات الموسيقية في العالم

القريض ، احد اولئك الشعراء الذين يهزون قلب الانسانية من تحت اجداثهم بما خلدوه من قصائد ، كما يهز راهب الدير ناقوسه بيده .

وانك لتسمعه ينشد اشعار جوته ، او شيلر ، او هايني ، ثم تريد بعد ايام ، ان تتصور وجه احدهم ، فلا تجد في مخيلتك سوى ملامح ايفان .

وليس عجيباً ان تسمع في صوته صوت كَنت ، او نيتشه ، او شوبنهَوَر ؛ او صوت تولستوي ، ودوستويفسكي ، وغوركي . فلقد اصبح كوزاروف ، لنهمه بالمرأة ، وتفانيه في استهوائها ، صدى لجميع العبقريات ، وفانوسا سحريا ، يكفي ان يستبدل صورة من صورة ليستميل كل ناظر بالصورة التي توآتي مزاجه ، وتستثير دهشه واعجابه .

لا البيت ، ولا المدرسة ، ولا البيئة بقادرة ان تؤثر فى ميول الرجل وتسيير اهوائه ومقاصده قدرة المرأة على ذلك . ففي حياة كل رجل امرأة ، معروفة او مجهولة ، حقيقية او خيالية ، تشير بكفها الى هدف من اهداف الحياة ، فيتبع الرجل السبيل الموصلة اليه . راضيا عن نفسه ، قانعا بعمله ، مستمرئا الصعاب التي تعترضه ؛ طالما هو يعلل النفس بانه سيستوفي اجره نظرة قدر وكلمة عطف واعجاب . فكأن كف المرأة السجل الذي سطر فيه قضاء الرجل وقدره من قبل ان تكتحل عيناه بالنور .

اولم تؤثر آديل فيما مضى في حياة ايفان ، ولما يبلغ الخامسة عشرة ؛ فانقلب الاول في صفه بعد ان كان الآخر فيه . لا لشيء ،

الا لأنه اغرم بتلك الصبية الصغيرة ، فبدت
له كبيرة سامية ، من وراء عدسة غرامه
السحرية ، بقدر ما بدا هو في عين نفسه صغيراً
حقيرا . ولم يهنأ له عيش بعد ذلك حتى اكمل
نواقصه ، واصلح مفاسده ، واصبح من
الاولين في الدرس ، والمجلّين في الرياضية .
وانقلبت نفسه نفساً كبيرة ، سمحة ؛ عظيمة
باخلاصها ، عجيبة بابائها وسموها .

ومن حسن حظ ايفان انه فشل في جميع
محاولاته الغرامية الاولى . فكلما انخذل مرة
ارتفعت منزلة الحب في عينيه درجة . وكان
تأثير ذلك فيه ، اندفاعا جديدا في اثر التفوق
والكمال ؛ اعتقاداً منه ان المرأة تفتش في
الرجل عن نواحي التفوق الصحيح التي
تنتشله من جمهرة الناس ، وتسبل عليه من

بهائها الوشاح الارجواني الذي اعد لمنا كب الابطال . . وما علم ان المرأة مخلوق خفيف قلب ؛ يؤخذ بالاوهام ، اكثر مما يؤخذ بالحقائق ؛ وتستهويه المظاهر ، اكثر من الجواهر .

ولو ان التفوق ، والبطولة ، والعظمة ، تؤثر في المرأة وتمتلك عواطفها الى الحد الذي تصوره ايفان الشاب ، لما صدفت جوزفين عن بونابرت وهو في اوج بطولته ، وفي فجر خلوده . ولما داست ذكراه بقدمها الخفيفة وسارت توزع قلبها من عاشق الى عاشق ، بينما كان مدوخ ايطاليا يسير من نصر الى نصر ومن مجد الى مجد .

وها هم عشرات العبقريين من قادة ، وكتبة وشعراء ، واساتذة ، وممثلين ، وسياسيين ، تنصرف عنهم نساؤهم ، وهم في اوج عليائهم ، الى رجال

يكادون يكونون دونهم في كل شيء . .
يمررن بالعبقرية مرور المتفرج[1] الفضولي . ثم
يتابعن طريقهن الطبيعية . مندفعات بوحي
العاطفة ، لا بوحي التفكير . والعاطفة في
المرأة هي الغلاّبة .

(رَجُلُها) . . الرجل الذي تنجذب اليه
بغريزتها لا بتفكيرها ؛ الرجل الذي تشعر
كأن بينها وبينه اسلاكا من كهرباء تصل
ما بين قلبها وقلبه ، وروحها وروحه ،
وحواسها وحواسه ، هو ما تفتش عنه المرأة
بين الرجال ، وتشغل حياتها — دون ان
تدري — باستكشافه وحوزه . الرجل
الذي خلقته الطبيعة صنواً لها ، هو وحده ،

(١) نجد هذه الكلمة ، على علاتها المديدة ، الطف واحسن من الكلمات التي يريدون ان يحلوها محلها .

ذلك الذي تشعر المرأة الى جانبه بالرضى والارتياح ولو كان جميع ما بين يديه ضئيلا مبتورا .

ما كاد ايفان يحظى بقلب انطوانيت حتى قفز طموحه من حده الادنى الى حد ابعد . فلقد كان قبل ذلك يتمنى ان يسمع كلمة (احبك) من امرأة ما ، لا ضير ان تكون ذاوية الشباب ، قليلة الحظ من الظرف والجمال . حتى اذا تم له ما اراد . وعلقته فتاة في مقتبل العمر مع قسط من الحسن والذكاء ، شعر ان نفسه لم تحط الرحال في المناخ الطبيعي الذي ترتاح اليه . وانبثق في خياله (مثل اعلى) ملك عليه مشاعره ، وكاد يقضي على جميع ما امله من سرور من صلته الجديدة بانطوانيت .

ربما كان خطأ انطوانيت وسبب اخفاقها بامتلاك صديقها أنها اظهرت له دفعة واحدة جماع ما تكنه له من وجد . والشاب في بدأ حياته الغرامية كالمرأة : ان تبعته اعرض، وان اعرضت تبعك . ولم ينفع الفتاة ، بعد ان ولته زمام قلبها بسهولة وسرعة ، ماعمدت اليه من وسائل الترغيب والاغراء . فان دقت له على البيان من بيتهوفن وشوبان وغيرهم من الذين كان يقدسهم من الموسيقيين ، بدت له مهارتها الموسيقية امراً طبيعياً . ولم تؤثر موسيقاها فيه الا ساعة اصاخته اليها . وان باحثته بشؤون العقل ، واسترسلت بعرض ما يتحرك في دماغها من خواطر ، خيل اليه انها تتعمل الظهور بمظهر المرأة المثقفة الذكية ؛ فينقبض فؤاده بشعور فيه شيء من

الاشمئزاز وكثير من الاشفاق .

وكم اخذ عليها في نفسه ميل عينيها الزرقاوين الى الضيق ، وتزاحم ثناياها السفلى بشكل يجرح ابتسامها .

وكان احيانا يضيق بها ذرعاً ، كأن بينه وبينها عداوة . فلا تأتي عملا ، ولا تنطق بقول، ولا تبسم او تعبس ، الا ودّ ان يصب عليها نقمته .

ولكنه لم يكن يطيق عنها بعدا . وويل لها ان واعدته واخلفت . فهو يرغي ويزبد ؛ ويحرّق الأرّم غيظا ؛ وينقلب شبكة من اعصاب متوترة هائجة ، لو تقنىّ تيارها ، وارسل في محرك كهربائي صغير لتأثر به وتحرك .

وكان على انطوانيت ان تصير بمجموعها ، حين يحدثها ، اذنا مصغية واعية . وليس لها ان

ترد عليه قولا ، او تفنّد رأيا . لانه ان حدثها ؛ فبلغة خاصة بها ، لا تزينها كلمة طيبة غير صادقة ؛ ولا يهذبها اسلوب منمّق يُظهر الحقيقة بوجه غير وجهها الطبيعي . فهذه الاذن ، العزيزة عليه ، والتي يحملها من قسوته ما تكاد تنوء به ، هي الحاصل الوحيد الذي يريق فيه ايفان بنات افكاره ، وهمسات جنانه ، كما يشعر في صميمه ، لا كما جرت العادة ان يشعر به امام الناس .

ولم يكن تشدده في معاملة صاحبته ليخفف من تعلقها به . فكم من عواطف ايفان الرقيقة ، وكم من كلماته العذبة الطيبة ، كانت تغشّي على ما يبدو من قسوته ، فاذا تلك القسوة حلوة جذابة ، لا تزيد انطوانيت بصاحبها الا تمسكا واعجابا . فلقد كان إيفان صديقاً لانطوانيت

— وما اعظم ما تحتويه صداقة ايفان لاحد من الناس من ولاء ، وصدق ، واخلاص ! — وكان يتمنى لها الخير من قرارة نفسه . ويشغل ذاته بمعرفة ما يمكن ان يسرها ويرضيها . ولو انه علم ان سعادة صديقته تتوقف على تفريط كل ما ملكت ايمانه ، لما وجد في نفسه ما يؤخره عن التضحية في سبيلها .

مسكين ايفان ، ما احرج موقفه ، اذ ينكشف له ان سعادة صاحبته تتعلق على شيء واحد : على ان يمنحها قلبه ! . . قلبه ذاك ، الذي اغلق منذ عهد قريب ، واصبحت له شخصيته المترفعة الطموح ، لا تهب الحب الا المرأة المجهولة البعيدة ، المرأة القدسية التي احاطها في مخيلته الخصبة بهالة من المحاسن النادرة العلوية . هو قلب

الشاب يود الا يسلم مقاليده الا الى امرأة يتخيلها كاملة في كل شيء . حتى اذا لم يجد — وهل في العالم امرأة كالتي تتصورها احلام الشباب ؟ — عمد الى امرأة ممن حوله ، واسبل عليها من مخيلته الكساء الذى يروقه ، ثم وضع قلبه الثمل بخمرة خياله ، على مذبح هواها .

ولقد كاد ايفان يلقي كساءه السحري ذاك على حبيبته الاولى ايلفير لولا ان افتراقهما كان اسرع .

اما انطوانيت فلقد دخلت عليه بطريق اضلتها عن قلبه ، بل هو هو طريق يدور حول القلب ، ويلمسه احيانا ، الا انه لا يعبره .

لو احتاجت انطوانيت من صاحبها الى عين

ماله ، او الى مقدار من دمه ، لما كان مستحيلا عليها ان تناله . اما ان يمنحها من قلبه ما لا ارادة لقلبه باعطائه ، فذلك ما لا قدرة لانسان عليه ، ولو عمد الى جميع ما في العالم من وسائل . . وليست الشفقة ، ولا الصداقة، ولا العطف ، ولا الحنان ما كانت الفتاة تريده من صاحبها . بل هى تلك العاطفة الطليقة ، الحرة ، التي لا مساومة فيها ولا جدل ، والتي لا ارادة لها في الدنيا الا الوحي الذى ينبعث من اعماقها : « الحب » .



التسلية الكبرى

مادي . . دينيز . . اينيز . كوندا . .
ميتزي . . هيدي . . أني . . غيردا . .
جيرترود . . سيلفيا . . فرناند . . جنفييف . .
كريستين . . .

وجوه مختلفة ، وطبائع متباينة ، واعمار متفاوتة، وجنسيات شتى . خلفن انطوانيت ، بعد ان غادر الشاب ايكس – ليبان الى بلده . وملأن ، وكثيرات غيرهن من اللواتي ضاعت اسماؤهن في اتاويه النسيان ، السنوات العشر التي قضاها الشاب بين برلين وغيرها من البلدان التي حط فيها الرحال ان سنة او يوما واحدا .

ولقد اصبح ايفان في فن استهواء المرأة كالصياد الهرم ، يسهل عليه اصطياد السمك لشدة معرفته باطواره . ويكفيه ان يلقي

بنظرة على فريسته ليوحى اليه باي طعم تؤخذ .
وليست الخبرة ، ورهف الحيلة ، والمرونة المكتسبة ، هي الدرجات الوحيدة التي تخطاها ايفان لتسنم الذروة التي صبا اليها في عالم المرأة . بل كان في طبيعته ومظاهره كثير مما يروق النساء ويوقظ اهتمامهن .

فذلك المرح الطبيعي لا يفتأ ينبثق منه ولو اراد نفسه على الانقباض . وتلك الرقة المتسترة عمدا بخشونة جذابة . وصوته العميق الحنون يجد في كل قلب كهفاً رحبا لرجع صداه . ورغبته الصادقة بفعل الخير — وان كان كل الخير الذي تمكن من منحه صواحبه لم يتعد ساعات قصيرة تلتها ايام طوال ملؤها الدمع والحسرة — . وسرعة انفعاله في مواقف الفرح والترح . وسداد ذوقه في انتقاء ساعات

الجد والهزل . كل ذلك ، مقرونا الى ما كان يظهر فيه من علائم الرجولة ، كان له في نفس المرأة شأنه البين وأثره البعيد .

* * *

كلما كثرت مغامرات الرجل زاد التفات النساء اليه ورغبتهن بمعرفته . والمرأة في هذا على نقيض الرجل . فنصيب المرأة المغامرة من اهتمام الرجال ضعيف . وان لم يكن كذلك ، فاهتمام الرجل بالمرأة الخفيفة لا يتعدى اهتمامه باداة حقيرة رخيصة يتوخى ، في الوصول اليها ، السرعة ، والسهولة والراحة . اما المرأة ، فانها تنظر الى الرجل المغامر نظرتها الى حيوان عجيب ، لا يتم هناؤها ، ولا يستريح فضولها ، الا بامسه

واستجلاء سره . وكل ما فيهـا من صفـات التقليد ، وحب الاطلاع ، وعدم اهتمام بالعواقب - وهي اكثر بروزا فيها مما في الرجل - تساهم في ميلها الى الاقتراب من ابي المغامرات الخطر عـدا ان المرأة ميـالة بغريزتهـا الى الرجـل القـادر على ارضاء طبيعتهـا الانثوية . واي دليل اصـدق ، بنظرهـا ، على ان رجلا يحتاز تلك الاهلية ، من رؤيته ذا حظوة لدى عـدد وافر من النساء .

لا عجب بعد هـذا كله ان نرى ايفـان كوزاروف زهـرة الحفـلات الانيقـة ، وقبـلة الانظـار في المسـارح والمجتمعـات . وكأن القدر ابى الا ان يجمـع فيـه معظم الصفـات المحببة الى النسـاء ، فحباه ، علاوة على ما ذكر ،

مخيلة خصبة ، ونظرة ثاقبة ، وجنانا فياضا ؛
تنصب من خلال يراعه آيات بينات على شكل
روايات وجدانية ، لم تكد بواكيرها تخرج
للناس حتى لهجت الالسن بذكرها والثناء
عليها . وكأن ايفان كان يستحي من الروايات
التي يكتبها ؛ ويراها غير جديره بان تكون
نموذجاً لاقصى ما يجب ان تصل اليه عبقريته
من بدع . او يعتبر صناعة الادب تسلية كبرى ،
لا يجدر بالرجل ان يتخذها مهنة ، ويقصر عليها
اهتمامه وجملة حياته . فكان لا يوقع ما يكتب
باسمه بل باسماء منتحلة . ويكتب الكتاب ، بسبب
عارض او للتسلية البحتة ، ثم يطرحه في زاوية
من زوايا مكتبه . وربما ضاع او قرضته
القوارض ، وهو لا يجرؤ ان يلقي عليه نظرة
جديدة ، خوفاً من هزء نفسه ، بما صدر بالامس

عن نفسه . وكثيراً ما كان يمر ببعض من
يقرأون ما كتب ويسمع اراءهم ، فيهمّ ان يظهر
ذاته ثم يحجم ، موطنا النفس انه لن يفعل ، الا
اذا اخرج للناس كتابا يستحسنه هو ، ويؤمن
بعبقريته ايمانا لا مرية فيه.

لقد كان لبعض اللواتي عرفهن ايفان مقام رفيع
واثر بعيد في حياته . فلو سألته عن مبلغ تعلقه
بدينيز او غاملين ، مثلا ، لما انكر انه هام بالاولى
هياماً ملك عليه شعوزه مدة اربعة شهور .
وايقن ، لفرط وجده ، انه ملاقي حتفه ان فرق
الدهر بينها وبينه . حتى اذا عرف غاملين ، بعد
ذلك بعام واحد ، امحّت صورة دينيز من قلبه ،
الا قليلا ، وراح يسكب روحه في راحتي فاتنته

الجديدة . ويجلسها احياناً ، ثم يركع قبالتها ، وقد اخذ اعلى جزعها بكفيه ، وارسل عينيه في عينيها البريئتين . ولا يزال يترشف من نظراتها البنفسجية ، اختلطت فيها براءة الطفولة وغلمة الشباب ، وعلائم الاستسلام وبوادر الصد . حتى يشعر بالنشوة تدور بنظره ولبه وجنانه . وتضخم اللذة في عروقه فتنقلب جائرة مجنونة . وكأن فراغاً اليما يداهم قلبه ، ويحس الشاب ان لن يملأه الا القاعدة قبالته ، فيضغطها على صدره ضغطا يكاد يدخل ضلوعها بين اضلاعه . ويزحف فمه المفغور على اعضائها المسمرة ، كأنه فم قائظ ظمآن ، يتنفس الرطوبة من حجر نديان .

ولكم رققت همسات غاملين من حواسه ومظاهره . ودفعت افق الحياة امام عينيه ، فكشفت

له عن عوالم جميلة جديدة . وكاد وجودها الى جانبه يمهد لحياته سبيلا آخر ،لولا ان عين ابوها سفيراً لبلاده في بلاد اجنبية بعيدة . فكبر على ايفان ان تبتعد عنه عاملين وقد رتقت روحه بها. فكتب اليها ينشدها الله والحب ان تبقى .مهملا ذكر شيء عن امكان اقترانهما . فكان جوابها الرفض ، برسالة رقيقة عاقلة ، فيها من العواطف النبيلة والخواطر العميقة ، ما وقف ايفان امامه مشدوهاً . وتنتهي الرسالة بكلمة وداع كادت تصيب من قلب المسكين مقتلا . وما هدأ روعه وتمكنت يده من القلم ، حتى خط اليها رسالة طويلة هائلة لا يعلم اهي صرخات دماغ اختلط مخه بمخيخه ، وعصفت فيه اعاصير الحمى والجنون ، ام نفثات قلب انكشط عنه شغفه وصاح بين جوانبه صوت المنون .

لكن الانفة ابت عليه ان يبعث برسالته الى غاملين . وهكذا ابقى القدر تلك السطور على متناول يد ايفان ، ليقرأها كلما عنّ على باله ان يستلقي بين ذراعي حب جديد . فيذكر الم الفراق وجنون الهوى . ويعجب لذلك القلب الانساني الجلد ، تنزل به كارثة فتفقده امله وحياته وتقلب ارضه ارضاً عاقة جدباء . حتى اذا مسح الزمن الجراح الاليمة ، واطل وجه جديد ، حل الربيع مكان الجدب، وانقلبت البور جنات عامرة تتردد في ربوعها اناشيد السعادة واصداء المرح والحياة .

هيلدا كارد

كلما ادلهمت ظلمة البغي في امة ، وجفت في قلوب ابنائها مآقي الايمان ، بعث اليها بنبي يأخذ بيدها الى سبيل الهدى والرحمة ، ويخرج بها من عالم الظلمات الى عالم النور . وكذلك يجري لبعض الرجال . فكلما كفهرت نفوسهم ، واخشوشنت احساساتهم وعواطفهم ، واصبح لون الحياة في ابصارهم باهتاً ، ومذاقها مراً او معدوماً ، اتتهم امرأة فبددت العفن من نفوسهم ، وعملت في قلوبهم عمل القاطن الجديد في بيت مهجور .

رأى ايفان هيلدا كارد في وقت تمكنت منه ازمة سآمة وملل ، ونهك جسمه السهر

واللذات، واصبح لديه ابتغاء السرور والغلمة عادة يومية تجرى بقوة الاستمرار ، وقد ضاعت منها لذة المفاجأة والندرة . فاعجبه منها قد تمثالي لا شائبة فيه ، ووجه جمع في سيمائه الحسن والفطنة وانفة المحتد الموروثة ، وكبرياء المرأة لم تجد رجلا يستهويها فزهت على الناس اجمعين.

ولقد قدر ايفان محاسنها ، لاول وهلة كما يقدر البدوي المحنك محاسن فرس اصيل لاول نظرة يلقيها . وتململت في نفسه رغبة الوصول اليها وضمها الى مجموعة خليلاته . لا فرق بين رغبته ورغبة ذلك الهاوي ، لا يلمح طابعاً ثميناً الا ود لو وضع عليه يده . او ذلك الاثري لا يقع على تمثال قديم او على تحفة نادرة حتى تدق في فؤاده دقات السرور ، وتنفتح له نفسه حتى ليكاد يبتلعه فرحاً وحرصاً .

وما ابه أيفان لكتاب هيلدا كارد الصريح القاسي الذي صور له اعراضها باجلى مظاهره ، بل زادته لهجتها العصبية الغضبى ، النامّة عن روح متوثبة ودم حار : رغبة بالوصول اليها . ولم يكن ليفت في عضده الحاحها عليه بعدم التعرض لها ؛ فلطالما خافته نساء لاول مقابلة ، وصدفن عنه ، وبادلنه اعراضاً من توذد ونفوراً من لطف ، حتى اذا وقعن في حبائله ، هزأن بانفسهن على تخوّفهن الاول، وأسفن على الساعات والايام التي اضعنها في الصد عوضاً عن ان يقضينها في علاج سكرات الغرام بين يديه الناعمتين الفنّانتين .

ثم رأى ايفان هيلدا كارد على الشرفة بعد ذهاب المدعوّين ، ليلة الحفلة الراقصة ، وقد تجردت من قناعها اليومي ، وانطلقت نفسها من معقلها فاذا

هى حمامة بيضاء يشهوي الروح انسها ويجلي الهموم سجعها . واذا هى تمد اليه يداً آمنة ، ووجها مطمئناً ليس عليه من حذره الماضى واستخفافه وكبريائه أثر . ولقد شعر بصدى لصوتها في قلبه ، وكان يحسبه قد صمّ ابدا . وتلمس نفسه ، فاذا هى تنساب رويداً رويداً في ظلمة الشرفة مفتشة عن نفس هيلدا كارد كما تنساب يد الطفل الهاجع مفتشة عن ثدي امه .

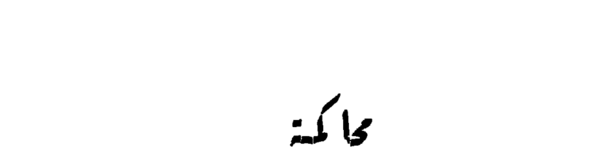
لم يدهش ايفان حين لم يسمع في عروقه صوت البهيمة الجموح. فلقد اعتاد ان يخرس جسده حين ينطق وجدانه . ومضت عليه الساعة وهو يتذوق من لذات الروح ما رجع به سنوات الى الماضى اذ كان روحا محضاً ، قبل ان يتقلب جسما محضاً. واختلطت في نفسه بهجة العودة الى الشباب

وبعض الحياء من عاطفة جديدة كان يحسبها وقفاً على الشباب اليافع وحده ، لا يجدر بالرجل الكامل ان يؤخذ بها ..

وخرج كوزاروف بعد ذلك من قصر الهتزنجر مع شروق الشمس وهو مجموعة من عواطف شتى . وقد احتلت هيلدا كارد من نفسه مكاناً غير المكان الذي كان قد اعده لها .. وكان اثناء سيره المضطرب اللذيذ يفكر باسما ولسان حاله يقول :

نصبتُ الشباك وأخذت بها ...




محاكمة

كوزي المحبوب .. تمكنت من الحصول على بطاقتين ممتازتين لحفلة « الارغن » الفريدة التي ستقام مساء السبت في كنيسة (الدوم الافرنسي). سأمر عليك لاستصحبك قبل بدأ الحفلة بساعة ونصف، ليكون لي متسع من الوقت، فاروي منك بعض ظمأي.

غبريل

لو ان هذه الرسالة اتت كوزاروف قبل تعرفه الى هيلدا كارد للاقت في نفسه هوى كبيراً. ولكنها اليوم قوبلت بفتور ما قوبلت بمثله واحدة من اخواتها اللاتي سبقنها اليه.

اية صفة من صفات هذه الفتاة يمكنها ان تؤثر في ايفان وتسترعي اهتمامه، عدا جمالها ؟ وذلك

الجمال ، الا يزال ايفان عبده ؛ وهو مافتئ يستمتع به على وتيرة واحدة حتى اصبح حقاً ان يمله ويجتويه ؟

اف ! من المرأة الثرثارة ، تعيد اليوم ما قالته بالامس ، حتى اصبحت لا تفتح شفتيها الا عرف ما ستقول، والتي تضحك دوماً لما اعتادت ان تضحك له ، وتتأثر بالحوادث بمثل ما جرت العادة ان يتأثر بها !

الا يخطر لها مرة واحدة ان تلبس ثياباً غير انيقة ، او ان تخرج بدون زهرة في شعرها او على صدرها ؟ !

اف ! من هذا الجمال ما اسمجه الليلة وما اثقله على قلب ايفان !

انه برهان ساطع على خفّة ميوله ... فماذا يحدوه لمرافقة غريتل كلما امّ محفلا غيرُ جمالها ؟ ..
وهل بلغ بنفسه الفقر حداً يقنع فيه من رفيقه وسميره ، بالظاهر الخلاب والجمال الذاهب !
ماذا يقوله عنه عارفوه والمعجبون بادبه امّا بدا لهم فراغ تلك التي اصطفاها من بين النساء جميعاً ؟

جمال بلا ذكاء .. جمال بلا ثقافة .. جمال بلا روح .. ذلك ما يخافه ايفان هذه الليلة . وينقم عليه . ويستحي منه .

انه لن يذهب مساء السبت الى الحفلة

— مسكينة غريتل . اي ذنب اقترفت حتى تُرفض دعوتها ، ويُتبرم بها ؟ .. أذنبها انها اعجبت بي واحبتني بعدما سعيت الى ذلك بحيلتي

ودهائي ؟

اليس في استسلامها الي بتلك السهولة والرغبة دليل على انها اعجبت بي وقدرتني ؟

وهل تقدرني امرأة الا اذا فهمتني ؟ .. وهل يتسنى لها ذلك الا اذا كانت فطنة .. بل ذكية ؟

ولكن ايفان لن يذهب .

— هنالك اسباب اخرى

— ما هي ؟

— هنالك انها .. انها .. لا تحسن التأنق .

— كلام مردود . فليس في الناس من يقول بهذا حتى ضرائر غريتل الطبيعيات .. وايفان نفسه ، كان يعدها حتى الليلة فنانة في مضمار التأنق .

— انها غير مثقفة .

— في القول شيء من الصحة . فهي لا تحمل شهادة عالية .. ولكن الكتب التي قرأتها ووعتها تكاد لا تحصى . حتى يكاد يكون ما قرأته ضعف ما قرأه كوزاروف الكاتب .

— انها ثقيلة .

— ربما .ولكن الليالي العذاب التي ملأتهن غريتل بمرحها وخفة روحها ، لا تزال تردد صداها في « التسلتن ، والتاونسين » ... وان اصبح ذلك الصدى ضعيفاً ، معتلا ، منذ وقت قريب.

— انني قاس

— كلا لستُ قاسياً

— بل انت قاس

.. اهذه قسوة ؟ ..صحيح هى كذلك ..ولكنها اقوى مني .

— هـذا استهتار !

وتلون !

وغـدر !

و.. خيـانة ! !

— هذا استهتار

وتلون

وغدر

وخيانة .

يالله من هذا الطيف الملح ، طيف غريتل المدافع عن نفسه !

انه يكاد يقنع «تفكير» ايفان ويخضعه . بل ها هو قد اخضعه وظهر عليه .

ولكن ايفان لن يذهب
انه لن يذهب

لن يذهب
و (قلبه) لا يريد ! .

— ستتألم غريتل .
— لتتألم .
— وربما اعدت ثوبا جديداً لحضور هذه الحفلة .
— كيف ؟ .. ثوب جديد ؟ ! .. ذلك غير مستبعد . آه ! المجنونة !
واذا لم تذهب الى هذه الحفلة ، الا يمكنها ان تستفيد من هذا الثوب في حفلة اخرى ؟
— بلى . ولكنها اعدته لهذه الحفلة . وليست قيمة الملابس عند المرأة ، بثمنها او بالفائدة التي تجنى منها ، بل باللذة التي تسببها حين تُلبس في « المناسبة » التي اعدت لها .

واضاع صوت «النيابة» شيئاً من قسوته وعناده .

ووقف طيف غريتل في ركنه الضيق يترقب النتيجة ، وقد كبر الامل في فوآده ، وترقرقت عيناه بالدموع .



عبوری تنظیم

لم يدرِ ايفان ، ايحمد مجيئه صحبة غريتل الى حفلة « الدوم » ام يأسف له ؟ فالمصادفة شاءت ان تحضر هيلدا كارد هتنزنجر تلك الحفلة ، وان تتبوأ مكاناً قبالة ايفان وصاحبته . فلا ترفع عينيها عن موضع الارغن حتى تقما عليهما .

يضطرب ايفان قليلا اذ يشعر بعين هيلدا كارد تطرف نحوه عشر مرات في الدقيقه الواحدة . وخبرته باطوار المرأة تنبئه انها تبذل اقصى الجهد لتمنع نفسها من النظر اليه ، وعبثاً تحاول .

ما عساه يجرى فى دماغها من جراء وجوده بصحبة غريتل ، وما تأثير ذلك في عواطفها نحوه ؟ اتعتبر صاحبته كحاجز منيع بينها وبينه ، فتلوي عنه الواء لا عودة بعده . وتكون غريتل البريئة قد فيصميت ، دون ان تعلم ، عرى

تلك الصلة التي ما زال ايفان يشعر بوجودها بينه وبين هيلدا رغم رسالتها الاخيرة الصاخبة ؟

هاهو يعاود في ذاكرته قراءة اولى رسائلها اليه :

« انا يا سيد ، لا اجدك جميلا — ولو خالفت بذلك رأي كثيرات من اللواتي عودنك الافتتان بجمالك — .. » ويلتفت ايفان فجأة الى غريتل فيرمقها بنظرة فاحصة غريبة . ثم يرجع الى الرسالة المتهكمة ، تقرع كبرياءه قرعاً :

« .. ولا اخالك ذكياً . فالاذكياء في نظري هم الذين يتكلمون قليلا ، وينصتون كثيراً » .

حذار ! فايفان لن ينبس الليلة ببنت شفة !

« .. وما اراه من تصنعك وتكلفك »

آه ! من هذه الكلمة ما اقساها ! يخيل اليه انه كيفما نظر وتحرك ، وبسم وعبس سيظهر متصنعاً ممجناً سخيفاً .. وينظر ايفان الى هيلدا

نظرة وجلة ، خجلة ، بها شيء من التوسل :

— صدقيني يا هيلدا ، فانت المرأة الوحيدة التي اود ان اظهر امامها كما انا ، لاني احب ان اعاملك كجزء من نفسي .

وترمقه السيدة البعيدة بنظرة لمع فيها شعاع من السخرية :

— اهذا انت يا بيترو دا كوفيتش ؟ ! ! عفواً ، اردت ان اقول يا سيد ايفان كوزاروف .. ام لك الليلة اسم آخر ؟ ...

سأسميك من الآن فصاعداً الهر [1] (X) ..

الا ترى ان هذا الاسم يناسبك ؟ ...

— رحماه ، رحماه من هذا التهكم !

وتضيع نغمات الارغن نبراتها ومعانيها وتنزلق

---

(١) هر بالالمانية معناها سيد

في اذن هيلدا كارد ناعمة مبهمة . ثم تستقر في خاطرها وقد اتخذت لهجة جديدة مذكّرة .

ماهذا اللحن القدسي ؟!

لحن قديم معروف ، يعبث بحبات جنانها ويهز نيام ذاكرتها ، وينقلها بعيداً ، بعيداً ، الى شرفة قصرها ، وقد غشيها سكون الليل ، وترقرق في اعطافها النسيم العليل .

هامة مقلنسة بجلد المعزى الابيض تترنح بهدوء منحنيةً على صف غير منظور من الاصابع العاجية . وانامل عصبية تختلج اختلاجات جنونية فتبعث في سكون الليل الحاناً كالاشعة السينية لا تدع جانحة من جوانح هيلدا كارد الا تنفذ منها الى الصميم وانفاس تتردد حارة مضطربة من صدر عريض ، يعلو وينخفض بقوة كأنه يدفع حشاشته دفعاً .

— بييترو دا كوفيتش ! حبيب ..

وترمق هيلدا كارد السيدَ القاعد قبالتها بنظرة شديدة ، فيها كثير من الجزع والغيرة :

— من هذه الشقراء القاعدة الى يمينك ؟

ولكن السيد يجيب بنظرة مبهمة بلهاء ، لأنه لم يفهم سوآل النظرة البعيدة .

— هي خليلتك ؟

— ...

— أنها امرأتك !!!

ويمتقع وجه هيلدا كارد لدى هذه الفكرة ...

ويتساءل ايفان في نفسه :

— اهي تنظر الي حقاً ، ام أتوهم ؟

ولكن نظرة هيلدا تصبح ملحّة ذات وزن .

— فهمتُ . فهمت .. هذه السيدة التي الى جانبي ؟ ..

ليس بيني وبينها من صلة سوى صلة القربى ؛
فهي ابنة ...
لا . لا . لا اريد ان ابدأ حياتي معك
بالكذب . . انها خليلتي. اجل خليلتي.. ولكن
قلبي لم ينفتح لها قط . وسأقدمها قرباناً على
مذبح حبنا ، ان شئت .
واطرق الرجل والمرأة ساعة امّلست فيها نفساهما
من جسديهما .وانسابت كل نفس نحو اختها .
حتى اذا تماسّتا وتعانقتا عناق المسالمة والهيام ،
اختلج الجسدان اختلاجا خفيفاً . ونظر ايفان
الى هيلدا . ونظرت هيلدا الى ايفان . وقد
حمّل كل قلب نظرته الرسالةَ التي اهتز عنها.
وانبعث بين نغمات الارغن عهد وثيق صامت:
— ايفان سأكون لك .
— هيلدا ساخلص لك .

الثمالة

هواك الذي غذيته بخيالي انامل مجنون على صدر تمثال

ع . ابوريشه

ارأيت الى ذلك التمثال الرخامى الذى يمثل فينوس ميديسي فى وقفة المرأة المروّعة الخجلانة . وقد ارسلت يسراها الى عورتها تسترها بكفها المنفرج الاصابع . وضغطت ثديها الايسر بيمناها كأنها بوغتت فى عريها فاندفعت يداها بدافع الغريزة تردّان الطرف الفضولي عن الموضعين الجذابين اللذين اودعهما الله انوثتها وسحرها ؟

ما من مرة طاف ايفان كوزاروف في متحف ما وقادته قدماه الى قسم العاديات اليونانية فيه ، الا استوقفته هذه المرأة الحجرية . فجال بصره الدهش فى انحاء جسمها الممتلئ الكامل ثم استقر على احد كفيها الحارسين ، وارسل الشاب من صدره تنهداً خفيفاً ، اضاف نقطة جديدة الى خضم « التنهدات » التي بعثها النفوس الظامئة امام

فينوس هذه ، منذ ان خلقتها مطرقة « كليومين »
في القرن الثالث قبل المسيح.
وقد يخاف ايفان ان يأخذ عليه الناظرون
طول وقوفه امام التمثال العاري فيغادر موقفه
آسفاً . ثم يجعل طريقه من امامه امّا اذن وقت
الانصراف . فتجول عيناه جولتها المعتادة فيه .
ثم تستقران ، حيث تعودتا الاستقرار .

عرف ايفان هذا التمثال قبل ان يعرف
المرأة . واهاجت فينوس ميديسي احساسه وخياله
اذ كان صغيراً ، واثارت اعجابه وميوله حين
اصبح كبيراً . واستقرت صورتها في وعيه
الباطن . فهو لا يرى امرأة بعد ذلك الا
فتش حسه فيها عن الناحية التي تقرّبها
من تمثاله .

ثم غاضت صورة ذلك الجسد الشهي حتى القرار المظلم من نفسه . وتغطت برسب كثيف من من اجساد الغواني التي عبثت بها يدا كوزاروف النهمة اللاهية . الى ان مُزقت حجب الحياء بينه وبين صاحبته الجديدة .. ووقفت هيلدا كارد تلك الوقفة المروعة الخجلانة . وقد ارسلت يديها الي حيث أرسلت يدا فينوس . وضرب الخجل على محياها بلونه الوردي الشهيّ . فبُعثت صورة التمثال الراقدة من مقرها . وانفرجت شفتا الرجل الولهان . حمراوين ، مضطرمتين ، لا تدريان اي جزء تلثمانه من هذه الاعضاء الغنية الفتانة .

ما هذا الجسد الكامل ، يذوب بعضه في بعض، فليس فيه نتءٌ شاذ ، ولا فيه استرخاء !

لقد تعود الرجل ان يرى الانوثة تنبعث من محيا النساء وبعض اعضائهن . اما هذه ، فكل ما فيها يصرخ بالأنوثة . وكل خلية من خلايا جسدها تعبق برائحه الجنس . فلو اخذت نبذة من شفتها ، او قلامة من ظفرها ، او جزءاً ضئيلا من بشرة ركبتها : او جسست وريداً من اوردتها الزرقاء المنبثة في اطراف جسمها ، لنطقت تلك الاجزاء الدقيقة بانوثة هيلدا كارد .

اما لون ذلك الجسم ، فليس لوصف مهما دق ان يعبر عنه . فلقد ضاع من اللون شخصيته التي يعبر بها عن نفسه لشدة ما اقترن بشكل الاعضاء ؛ فتألف منهما «كل» تام قائم بذاته ، لا يتأتى تصور احدى قسيمتيه الا بتصور القسيمة الاخرى .

اضطرب ايفان وانبعث الوهم في دماغه ، وسرعان ما انبث في اعضائه .

الديه من القوة والثبات ما يحقق به آمال هذا الجسد القوي ، المختلج امامه ؟

لا ذكاؤه ، ولا شكله ، ولا لطفه ، ولا تآليفه وموسيقاه وعبقريته ، بشافعة له امام هذا التمثال الحي ، ان هو خيب امله ، فلم يرو ظمأه .. بل كل ذلك سيزيد نقمة المرأة استعاراً .

«الرجل» ، الرجل المجرد ، الرجل المادي ، الرجل ـ الحيوان ، هو ما تنتظره المرأة في هذه الساعة .

الا تراها كيف غاضت نظراتها وشعشع لهيب الشهوة فيها فاصبحت لا تختلف بشيء عن نظرات الفرس امام الحصان القريع !

الا ترى الى شفتيها الرقيقتين كيف جف اللعاب عليهما، ودبت الرعشة الباردة فيهما . وانفرجتا، كأنهما عين الجريح المحتضر تطلب جرعة ماء ليطفئ بها ظمأه ؟

وها هي الشهوة تهدر امواجها الخمرية في عروق هيلدا كارد . وتصطخب تياراتها في دماغها وغددها ، حتى تصل الى البرعمين ؛ فينتفخان ، ويصلبان . يكادان ، لو شققتهما ، يقذفان سيلا دافقا من الشهوة الحمراء ، ووابلا لاهباً من كريات الغلمة الجمرية .

* * *

اطلت وجوه خليلات ايفان اللواتي امتصصن بالامس قوته وشبابه . وقد تجلت سخرية الانتقام

عليها وراح ايفان يطردها خيفة ان يستنزف حضورها في مخيلته ما تبقى بين يديه من قوة .
وبرز من بينها وجه غريتل الطيب وقد خالطت كآبتَه ابتسامةٌ خفيفة . وتقدم من الرجل . وهمس في اذنه :

« حينما كنت تغشاني فيما مضى ، كنت اشعر بضعفك واسترخاء اعصابك ؛ ولكني كنت اتجاهل ذلك اشفاقاً عليك لما كنت اعامه من انفتك وكبريائك . فكان تجاهلي يعين ضعفك على التستر ، ويعينك على الوهم الذي يهدّدك ، فكنت تظهر عليه . اما هذه المجهولة التي بين يديك فهي لم تنعم بعد بقوتك لتقبل اليوم بضعفك ..
وانظر اليها ، الا ترى انفها كيف انكمش وسطه ، وانفرج طرفاه ، وانبعث منه فحيح الشهوة هادئاً ، لطيفاً ؛ وبعد هنيهة

سينقلب زفيراً مشتعلا كأنه زفير الكير في
موقد الحداد .
ارى اعلى بطنها كيف يختلج ؛ ثم يهبط ويعلو
كأن شياطين الشهوة تدير رحاه !
وتلك الحنجرة المائجة تمتص من غدد الفم
معظم لعابها لتدفع به الى الباطن اللاهب !
وتينك الراحتين تضغطان وجنتيك واطراف جسمك،
وتعبثان بشعرك الوحشي بحركاتها المحبّبة العصبية !

كل مافيك من مظاهر تبعثها على الاعتقاد بقوتك
والايمان برجولتك .. فانت الآن نبي شهوتها..
وما آلم ان يخيّب النبي رجاء المؤمنين !

ان شعرك الاسود الثائر يكاد ينطق بما يجري في
عروقك من دم الشباب ، رغم ما وُخط به من

شعرات بيض قلائل.

وصدرك المنتفخ الاشعر ، ووجهك الملفوخ الأنوف ،وعنقك ، ومنكباك ، ويداك ، واصابعك كلها تلقي في روعها انك الرجل الذى تحتاج اليه الساعة .

كل شيء فيك ، ينبيء بقوتك .

كل شيء .. الا عيناك .

لقد خالطها الارتباك وماع في نظراتها الحياء .. وها هما عينا هيلدا كارد الوالهتان ، تبحثان عن نظراتك . فتنبو عنها عيناك ، هرباً من ان تقرأ المرأة فيها العجز والاخفاق .

ما لهيلدا كارد تحبس شفتك السفلى بين ثناياها الدرية . ثم تأخذ بها حزاً حتى تكاد تدميها ؟ !

وما لهاتها قد علت هامتك، وذراعها قد احاطت بعنقك ؟ .. افأحسست بانك لن تصلح لان تكون رجلا فاستبدلت من دورها دورك ، وخافت الاّ تكون قوّاماً، فقامت عليك ؟

تلك مخالبها المزينة ، المطلية ، تنغرز في حرير الوسادة تكاد تمزقه . وذاك جسمها المتأجج ، يزحف اليك زحفاً ، ثم يلتصق بك راجفاً ، فهلا اجبت نداءه !

* * *

رويدك ، لا تعبث بنهديها . ولا تمرّغ وجهك وشفتيك في اهاب حوضها الدفيء . ولا تدب بانامك على ازرار الشهوة من جسدها .. فلن

يزيد ذلك نارها الا استعاراً . ولن يزيدك الا حسرة ووهنا .

* * *

ما بال خيالك يخطر في عالم العري الذي عرفته فيما مضى ؟

ما لعينيه الجاحظتين تتقلبان فوق الاسرّة المشعّثة. وتنساب نظراتهما المجلي على الصدور الناهدة المكدودة ، والاعناق الملتوية المخدوشة ، يدقّ الدم الكليل في عروقها دقات بطاىء . وعلى الاذرع البضاء الزاحفة ؛ والارجل المنفرجة الواهنة ، واللمم المرتشقة تغطي عيناً باكية ، ووسادة ممزقة ، ومقرمة [1] دامية ؛ وقد تقطرت الشهوة

---

(١) ما نسميه بالعامية شرشف الفراش

المشبعة بين خصلها فكانت عرقاً شهياً .

أبعثتَ بخيالك بين الصور الفاجرة ، والاطياف المثيرة ، لعله يرجع اليك بشيءٍ من الشهوة المفقودة ؟

لا يغرّنك ما تحسه في جوارحك من شهوة فعّالة . فشهوتك الفعالة اليوم كفنار المنارة البعيد ؛ لا يكاد يضيءُ حتى ينطفئُ .. وويل لك ان امت صاحبتك مشتعلا ثم انطفأت فيها !

ما لفنّك قد انقطعت اسبابه ، وما لعلمك قد أُلجمت السنته ! او ارتج عليك اذشعرت بالحب يضغط جوانب قلبك . وخفت ان تظهر امام فاتنتك عيِيّاً ، فوقعت بما كنت تخافه ؟

مرحى لك ! مرحى ! انك تربأ بنفسك ان تعمد
الى ما يعمد اليه العجزة في موقف كموقفك .
فانفتك لا تزال اقوى من خجلك . وانت تقرأ
في روح هيلدا كارد انك ان فعلت ، نزلت من
قلبها المقر الاسود الاسفل الذى اعدته للذين تمجهم
وتزدريهم .

ليتك خسرت من مجموعة خليلاتك القديمات
عشراً فتبقى لك من القوة ما يعينك على اغاثة
هذه التي تتلوى بين يديك تلوي الذئب الصامت،
المثخن بجراحه .

آه . من الرائحة الوحشية العميقة تتناثر من بين
شعرة ابطيها الشقراء الندية !
انها تحفر طريقها الى دماغه ..ثم الى قلبه..ثم تنقلب

حبات من الشهوة الصارخة ،تدور في جماع جسده .
في جماع جسده .. الا حيث استقر الوهم ،والوهن،
والهرم ، وضعف السنين الفائتة النهمة .

السكون يخيم ثقيلا في جو الغرفة البنفسجى .
يكاد لشدة ثقله ينقلب مادة ملموسة . والنور المزرورق
يضعف رويداً رويداً ، وتدور أشعته الاطاريه
بعضها ببعض بعد ان كانت خيوطا مستقيمة
ساكنة .واذا اثير الغرفة مجموعة من تيارات من
اشباح النور الباهت تهيم بسكون ،على
همسات السكون .

صدران عاريان تؤججهما مشاعر مختلفة .
يختلجان بهدوء ،ويبعثان بانفاسهما نسمة نسمة خيفة

ان تخدش سمع السكون العميق . صدراشعر
يدفع الزفرة الخافتة طويلةً باردةً كأن كل
زفرة تستنزف جميع الهواء الذي فيه؛ وقدسارت
على مهل في جوفه شفرةٌ مرهفة تشق اهابه
شقا .. وصدر مرمري يكاد لصفاء لونه يشف
عن جذوة الغيظ تلفح جوانحه.

ولقد غشّت السكينة وجه هيلدا كارد كما يغشّي
وجهَ الميت قناع من شمع . وحلت باطرافها
غيبوبة ، فلا هي تتأثر بحرّ ولا تتأثر ببرد .
وانفرجت اجفانها عن نظرة جامدة قاسية تغذّيها
الشهوة المكبوتة، والنقمة المكتومة والامل المهيض.

* * *

بكت هيلدا كارد.
وكم كان ايفان احرى منها بالبكاء .
هي تبكي لفرط قوتها .. افلا يبكي فرط ضعفه ؟

استند ايفان بجسمه الواهن على جدار غرفته بعد ان ودّعته هيلدا كارد وداع من لا يرجى عودته . وبقي ساعة مطرقاً لا حراك فيه . وقد اختلطت في دماغه الصور المتعبة المبهمة برائحة الحب وطيب المرأة الانيقه . تعبق بها الحجرة فلا يجرؤ على فتح النوافذ لطردها . كالمخدّر بالغاز ، يحس هلاكه من حوله . ولا يجد في نفسه ما يعينه على دفعه .

ولقد انطفأ قبس الحياة في عينيه فبدتا فارغتين، جامدتين، ناشفتين ، كعين مصنوعة من زجاج .

ولو نفذت الى صدره في تلك الساعة لهالك ما تراه من حلوكة جنانه . يختلج بسكون ، نافثاً غباراً قاتماً مرّا ، كالمداد الاسود العكر ينفثه الاخطبوط من جوفه حين تدق فيه دقات الوجل والغيظ .

ولقد بقي على تلك الحال الى ان شعر بالنمل يدب في عضلاته فصحا فجأة من غفوته. واذا رأسه قد تدلى على صدره ، وقد انفرجت شفتاه بشكل مضحك . فتغيظ من ذاته. وتحرك يريد نسرو بردة الخمول من على كتفيه . وما كاد يفعل حتى رجع الى مثل ما كان فيه .ثم دارت به قدماه على غير هدى في الغرفة . تقفان تارة امام الموقد وتارة امام صورة من الصور المعلقة على الجدران ، فيشخص اليها ساعة بدون وعي. واذا وقف به التطواف امام السرير المشعث حث خطاه واجما . الى ان دعاه داع نفسي الى الهرب من ذلك المكان الموبوء . فخرج لا يلوي على شيء .

ما جاوزت قدما ايفان الشارع الممتد امام بيته وتغلغلتا به بين اشجار حديقة التيركارتن حتى

انبعث من صدره همهمة هي همهمة الطريد دخل ملاذاً آمناً ، او القائظ هبط جنة وارفة الظل ندية .

وقف ايفان هنيهة ليشعل سيجاره . وما كاد يفعل حتى الم بقلبه انقباض حاد جديد . فاطرق ساعة لا يدري اي طريق يسلك وباي حركة يأتي ليسري عن نفسه بعض ما بها.

وكأنه استحيا ان يظهر ، والسيجار في يده ، بمظهر الرجل الراضي عن نفسه الواثق بقوته وشبابه ، فباعد بتوأدة ما بين اصبعيه ، فاملس السيجار من بينهما . ووقع في بقيعة ماء . فكانت مقاومة قصيرة ، استسلم بعدها السيجار الى طغيان الماء .واذا جذوته تنطفئ رويداً رويداً باعثة بالم صوت الموت ينتزع ذراتها الجمرية ذرة بعد اخرى :

— « هكذا انطفأت جذوة الحياة بي ولما ابلغ الاجل الذي قدره الله لعمري .

لقد حسبت السعادة في ان اغترف من لجّة اللذات كل ما امكن يديَّ اغترافه . فغمست صباي فيها . ولم تزل خمورها الحادة بنفسي الشبقة اللاهبة حتى اتت على آخر جذوة فيها .

فاذا انا ميت قبل ان اموت ، واذا انا سيجار ماتى في سحيبة ماء ، ليس فيه طرف مشتعل فيؤمن بانه يعيش ، وليس فيه بقية صالحة فيأمل ان يعوض عما فات .

انا الميت الذي مات جسمه ولما يمت فكره . يرى دولاب الحياة يدور ، وقد زينته الرياحين ، وهزجت حوله اناشيد الربيع الضاحك . وليس له قدم تعينه على التقدم منه ، وليست له يد

تمد الى ريحانة من رياحينه .

لقد ارتشفت في عشر سنين الكأس المترعة التي اعدت لرشف اربعين عاما . فاذا الخمرة تنقلب سما ، واذا الترنح البهج ينقلب شللا ، واذا النشوة الضاحكة سكرة من سكرات الموت .

يا ايها الرجل المتأمل الواجم تحت تمثال الثالوث الموسيقي[1] !

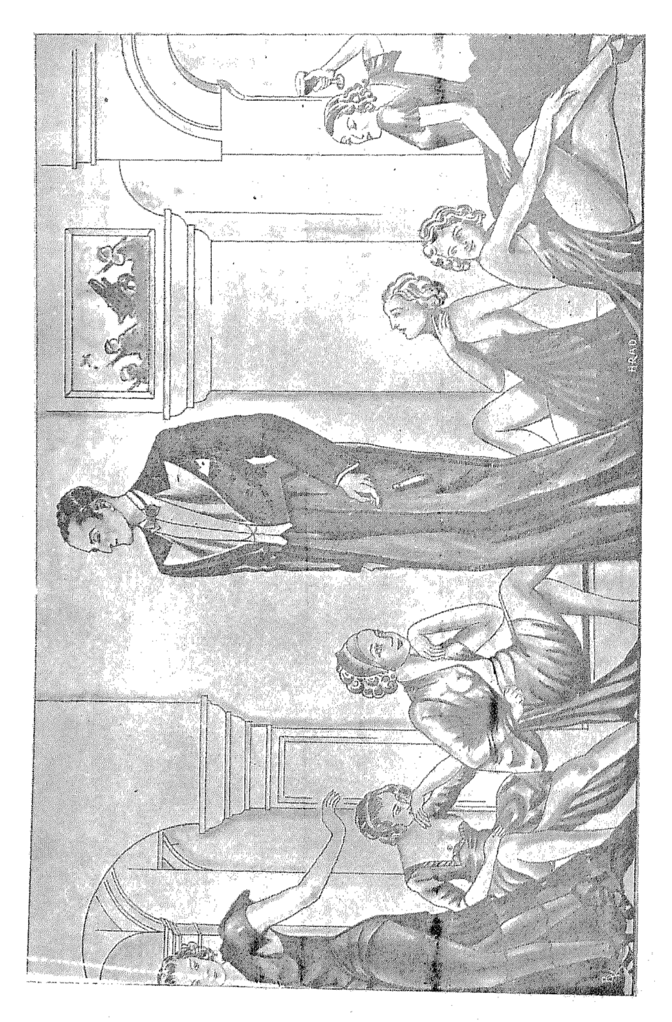
ما ظلمتك زوجك اذ خانتك ، وانما ظلمت نفسك .. توزع شبابك بين المرأة والخمرة ، والحانة والملهى ، حتى اذا وخطك الشيب ، واستنزفت الليالي قوتك وشبابك ، فتشت لك عن رفيقة خلاقة قنوع ، تمد اليها بيدك الراجفة

---

(١) يلمح ايفان عن بعد رجلا مستنداً الى تمثال يمثل بيتهوفن وموزارت وباخ ، فيخيل اليه ان بالرجل مثل ما به فيتحدث اليه في سره .

المهتزّة كأساً فارغة الا من ثمالة عمرك الكدرة .
ثم تطرّح الى جانبها جسما بلا روح ، او روحاً
بلا رواء : خرقة بالية ، وجثة خلقة ، لم يبق
فيها من زجع الحياة سوى الانانية المجسمة
والتشكك الكافر !





« الأنوثة الخـالدة تجذبنا اليهـا »

ـ جوته فاوست ـ

خيّم الليل على البلدة الدامية فهدأ ضجيج المعمعة .
وهجعت كل بندقية الى جانب جنديّها المنهوك .
وانطرح الاحياء فوق اسرّتهم الحربية او على
الارض الشائكة . ليس بينهم وبين القتلى من
فرق سـوى نسمة تنبعث ثقيلةً متقطعةً من
صدورهم الجزعة الـكليلة .
النجوم تلمح في جوانب السماء . وتبرز من دون
استحياء بابهى بريقهـا في هذا المأتم الحزين .
والنسيم يهيم عليلا . يكاد للطفه يرجع الحيـاة
الى الاشلاء المبعثرة في جوانب البرّية .

ـــ لقد قرب الموعد !

ثم اغمض عينيه فتنهد تنهداً خافتاً ، ثم فتحهما . وبسم بسمة صغيرة سريعة كبسمة الزائر في بيت يلبس الحداد .

وبعد هنيهة كان ينساب في شارع البلدة الكبير . وقد شدّ كفه على « وثيقته » وانقبضت اسارير وجهه . الى ان طرق سمعه هدير الامواج ، ونشَق ريح الماء المالح . فتنفس الصعداء ؛ وحمل يده الى قلبه . ونظر مضطربا جهة السور الفاصل ما بين حديقة البلدة والشاطئ الرملي .

ـــ لم تأتِ بعد !

لكن الدقائق الاولى لم تكد تنصرم حتى بان قدّها الرتيق يتسال بين الاشجار فتصدع قلب الجندي فرحاً :

— ايريس ؟

— بلى .

بعد ساعة كانت ايريس تعبث باناملها في لحية صاحبها السوداء الكثّة ، وقد انشاها سكون الليل ونسمات البحر الرقيقة !

— ماذا دفعك الى الانخراط في جيش الثوار يا حبيبي ؟

—رغبتي في اعلاء الحق على الباطل . وحبُّ الانتقام من اعداء اسرتي الذين كانوا السبب في تشتيت شملنا .

ولكن باطن الرجل اجاب بغير هذا . فلقد قال بيّنه وبين نفسه :

دفعني الي ذلك رغبتي في الهرب من حياة اللذات الصاخبة .. الهرب من المرأة .. من المرأة !

شملتنا .

ولكن باطن الرجل اجاب بغير هذا . فلقد قال بينه وبين نفسه :

دفعني الى ذلك رغبتي في الهرب من حياة اللذات الصاخبة .. الهرب من المرأة .. من المرأة !

واخذت الفتاة الاسبانية يد صاحبها فلثمتها بحنين وتكلمت بتوأدة ليفهم الاجنبي كلامها :

— اتحب النساء كثيراً ؟

فانتفض الرجل انتفاضاً شديداً وقال متلعثماً :

— ءانا احب النساء ؟ .. لا اعلمُ .

ثم تمتم بلغته :

رباه ! لمَ خلّدت في عروقنا هذه الجذوة تلهبها حتى آخر نسمة من نسمات حياتنا !

— وما اسمك الحقيقي يا عزيزي ؟

— دعينا من اسمي الآن . الم اقل لك اني ادعى،

منذ التحقت بجيش الثوار الاسبانيين ، امبيرتو فرننديز .

فتعلقت ايريس بعنقه وطبعت على وجنته المسمرّة قبلة طويلة حارة . وقالت :

— اسمك الحقيقي ؟ اسمك الحقيقي ؟

فبسم الجندي بسمة حزينة وضغط الاسبانية الحسناء على صدره . ثم طبع على جبينها قبلة رقيقة وهمس في اذنها :

— عبدك بيترو دا كوفيتش .

تمّت

طبع من هذه الرواية
على ورق برشمان وردي
سبع وعشرون نسخة ممتازة
مرقومة من ١ — ٢٧

يظهر قريباً للمؤلف نفسه :

زوجتي

درس ممتع لقضية الزواج من الغربيات مع تحليل عميق ونقد صريح واسع لحياتنا الاجتماعية

جابر بن حيان

رواية ممتعة عن حياة كيماوي العرب الأكبر . مع تصوير رائع لحياة عصره الروحية والفكرية والعلمية.

في أثر السراب

رواية تنيف على الخمسمائة صفحة كتبها مؤلف (نهم) في السجن . حوت جميع ما يجول في فكر السجين المضطهد من فلسفة وشعر ، وحب ومقت ، وجد وعبث . وتدور حوادثها حول آلم مأساة غرامية عرفتها اللغة العربية حتى اليوم .

المطبعة العلمية ـ حلب

